

التصوف في تهامة اليمن

دراسة ميدانية

إعداد

عبد اللّه المصلح

الحقوق محفوظة

منشورات



١٤٤٥ – ٢٠٢٣

فهرست



المقدمة

الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضَى، وأشهدُ أن لا إلَه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليه وسلم وعلى آلِه وصحبِه ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أمَّا بعد:

فإنَّ دعوةَ التوحيدِ وإفرادِ اللهِ بالعبوديةِ أعظمُ أمورِ الدينِ وأجلُّها، وهي دعوةُ الأنبياءِ قاطبةً منْ لدنْ نوح عليه السلامُ إلى نبينا محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، كمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل (٦٣)].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء (٥٢)].

ولقدْ أمضى نبيُّنا محمدٌ صلى اللهُ عليه وسلم حياتَه كلِّها منذُ مَبْدِأ بعثتِه إلى أنْ توفاه اللهُ عزَّ وجلَّ وهوَ يدعو إلى التوحيدِ، حتى أنَّه في اللحظاتِ الأخيرةِ كانَ همُّه الأكبرُ الذي يحرصُ على بيانِه وإيضاحِه بشكلٍ جليٍّ لا خفاءَ فيه ولا غموضَ هو حمايةُ جنابِ التوحيدِ منَ الشركِ والبدعِ؛ لما روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحَيْهِما

عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ: "لما نزلَ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم طفقَ يطرحُ خميصةً على وجهِهِ، فإذا أغتمَّ كشفَها عن وجهِه، فقالَ – وهو كذلك –: لعنةُ اللهِ على اليهودِ والنصارى اتخذُوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ" يُحَذِّرُ ما صنعوا.

والناظرُ في واقعِ الأمةِ الإسلاميةِ اليومَ ليجدُ أنها أصيبتْ في أعظم ما تملكُ ألا وهوَ التوحيدُ والعقيدةُ – إلا منْ رحمَ اللهُ – فنقضتْ بذلك عُرى الإسلامِ عروةً عروةً، واللهُ المستعان.

وكانَ الباعثُ لهذا الضلالِ والزيغِ هو مجاوزةُ الحدِّ بالتعدي على حقوقِ المصطفى صلى اللهُ عليه وسلم بالإطراءِ في المديحِ والغلوِّ في التعظيمِ، وما ينتجُ عنْ ذلك من الغلوِّ في الأولياءِ والصالحين، ومِن ثَمَّ انحرفَتْ – والعياذُ باللهِ – طوائفُ كثيرةٌ منْ أهلِ الإسلامِ في أمرِ التوحيدِ بالبدعِ تارةً، وبالشركِ تاراتٍ أخرى، فأُصيبَت الأمةُ بالهوانِ والذلِّ وتسلطِ الأعداءِ، ولنْ يصلحَ آخر هذِه الأمةِ إلا بما صَلُحَ به أولُها.

ومنَ البلادِ التي تفشتْ فيها المظاهرُ المناقضةُ للتوحيدِ منْ شركٍ وقبوريةٍ وبدعٍ وخرافاتٍ منطقةُ تهامة اليمن (الشريط الساحلي المحاذي للبحرِ الأحمر في جنوبي جزيرةِ العرب).

وكانَ منْ أهمِّ الأسبابِ التي أدتْ إلى انتشارِ الشركِ والقبوريةِ وذيوعِها في هذه المنطقةِ سببان رئيسان؛ وهما:

الأول: غلبةُ الجهلِ على الناسِ، وعدمُ وجودِ منْ ينبهُهم على الشركِ وخطرِه ويبينُ لهم التوحيدَ وحقيقتَ. الثاني: انتشارُ التصوفِ بقوةٍ في منطقةِ تهامة اليمن؛ حيثُ إنَّ جذورَ الصوفيةِ تضربُ بعمقٍ في تاريخِ هذه المنطقةِ، حتى أنَّ الناسَ في هذه البلادِ أَلِفوا أمورَ الشركِ والقبوريةِ والغلوِّ في الأولياءِ، نشأَ عليها الصغيرُ منهم وهرمَ فيها الكبيرُ.

ومما يزيدُ الأمرَ خطورةً خاصةً في السنواتِ المتأخرةِ، أنَّ الصوفيةَ في اليمنِ بلْ في العالمِ أجمع قدْ عزفتْ عن رتابةِ التصوفِ ومنهاجِه التقليدي منَ السياحةِ والخلواتِ والعزلةِ عنْ المجتمعاتِ وغيرِ ذلك منْ أمورِ الشطحِ والدروشةِ ومنْ فِعَالِ المجاذيبَ والمجانين، فتركتْ التصوفَ في صُورهِ التقليديةِ القديمةِ، وواكبتْ ركبَ التطورِ والتقدمِ العلمي؛ لتبرزَ لنا في صورةٍ جديدةٍ هي (الصوفيةُ الحركيةُ أو الصوفيةُ العلميةُ) إن صحَّ التعبيرُ، ولتظهرَ على المجتمعِ بأعمالٍ مؤسسيةٍ علميةٍ أو اجتماعيةٍ سواء كانتْ على هيئةِ جامعاتٍ أو كلياتٍ أو أربطةٍ ومعاهدَ دينيةٍ أو جمعياتٍ ومؤسساتٍ خيريةٍ إغاثيةٍ اجتماعيةٍ وغير ذلك.

وأهمُّ ملامحَ نشاطِ الصوفيةِ العصريةِ يتمثلُ فيما يلي:

- العنايةُ بإنشاءِ المؤسساتِ العلميةِ منْ معاهدَ وكلياتٍ وجامعاتٍ شرعيةٍ معَ التركيزِ على التأصيلِ العلمي والرسوخِ العلمي في العلومِ الشرعيةِ عامةً،

وتثبيتِ الشُّبَهِ المناقضةِ للتوحيدِ، وتأصيلِ مسائلَ العقيدةِ على طريقةِ المتكلمين خاصة.

- إحياءُ الآثارِ القديمةِ منْ أربطةٍ وزوايا وموالدَ وزياراتٍ قبوريةٍ (شركيةٍ وبدعيةٍ) وتنشيطُها ودعمُها ماديًّا ومعنويًّا.

- السيطرةُ على أماكنَ التوجيهِ والإرشادِ في المجتمعِ منْ إمامةِ مسجدٍ وخطابةِ جامعٍ وتدريس في المدارس.

- محاولةُ السيطرةِ على المناصبَ العليا في المجتمعِ والمراكزَ المؤثرةِ فيه؛ وذلك بالحصولِ على حقائبَ وزاريةٍ، أو رئاسةٍ للمجالس المحليةِ، أو إدارةٍ لمكاتبَ الدوائرِ الحكوميةِ، أو أن يكونَ منهم أمناءٌ لكتابةِ العقودِ والبصائرَ وغيرِها من مراكزَ التأثيرِ في المجتمعات.

- مباشرةُ الناسِ ومخالطتُهم واستقطابُ أكبرِ عددٍ من المدعوين إليهم، والحرصُ على جيلِ الشبابِ خاصةً ومحاولةُ الوصولِ إلى جميعِ شرائح المجتمعِ؛ حتى يتم التأثيرُ على عقائدَ الأمةِ وآدابِها بشكلٍ مباشرٍ قوي.

فإذا ما انضمَّ إلى ذلك ما نشهدُه ونعاصرُه من المخططِ العالمي، والذي يقومُ فيه حزبُ النفاقِ ومِنْ ورائِه أسيادُه مِن أئمةِ الكفرِ ورءوسِه في هذا العصرِ منَ السعي الحثيثِ سعيًا جادًّا إلى إعادةِ تلميعِ أهلِ الأهواءِ والبدعِ خاصةً الصوفية، ومحاولةِ

تزيينهم للعامةِ وإظهارِهم بمظهرِ المرجعيةِ الدينيةِ الشرعيةِ، ومنْ ثَمَّ التمكينُ لهم وتهيئةُ الوسائلَ المتعددةِ والمتنوعةِ لهم والتي منْ خلالِها يعبثونَ بعقائدَ المسلمين الراسخةِ وثوابتِهم الشرعيةِ المحكمةِ.

ومن ثَمَّ ما فتئ هؤلاء المبتدعةُ يَحِلُّون عُرى عقيدةِ التوحيدِ عروةً عروةً حتى طمسوا العقيدةَ الإسلاميةَ الأصيلةَ، وانحرفوا عن التوحيدِ النقي الصافي، وصارَ أساسُ دينِهم هو الشركُ باللهِ، وقاعدةُ مِلَّتِهم إنكارَ صفاتِ اللهِ، وما يلحقُ ذلك من أهواءٍ وبدعٍ وضلالاتٍ في التصورِ والسلوكِ في العقيدةِ والشريعةِ، والتي في حقيقتِها إعراضٌ عن الوحي من علومِ القرآنِ والسنةِ، وتعطيلٌ للعقولِ الصريحةِ بل إفسادٌ لها وتخريبٌ.

ومنْ هنا فإنَّ على المنتسبين للعلمِ والدعوةِ واجبًا كبيرًا تجاه هذا الزحفِ البدعي الخطيرِ، لأنه كلما انتشرَ العلمُ وقوي البلاغُ ونشطَ الدعاةُ إلى اللهِ على بصيرةٍ كلما قلتْ وضعفتْ مظاهرُ وممارساتُ البدعةِ والخرافةِ والشركِ والضدُّ بالضدِّ.

كانت هذه الدراسةُ لبنةً في بناءِ مواجهةِ المدِّ الصوفي ببدعِه وشركياتِه؛ حتى تتجلى الحقيقةُ ناصعةً لتكشفَ زيفَ القومِ وتبينَ حقيقةَ حالِهم، ولتعريِّهم وتفضحَهم حتى يكونَ الأمرُ بينًا والشأنُ جليًّا لكلِّ ذي عينين.

وهي دراسةٌ موجزةٌ عن الصوفيةِ في تهامة اليمن.

وهي مقالاتٌ تطوفُ بنا في أوديةِ التصوفِ الحضرمي وشعابِه، ولا عجبَ في

حالِ من أعرضَ عن العلم، والتمسكِ بالكتابِ والسنةِ إن يتسلل إليه من عقائدِ الغلاةِ ما يظنّ أنها من طريق صوفية الزهدِ، وما هي من طريق صوفيةِ الزهدِ، فقد آل الحالُ ببعضهم أن خلع على أقطابِ الطريقةِ ألقاباً وصفاتٍ ألصق بمقامِ الربوبيةِ منها بمقام النبوةِ فضلاً عن مقام الولايةِ، ومناقب وكرامات هي بالخرافات أشبه، واتخذوا الشيوخ أندادا، وأضحت زيارة القبور والأضرحة لقضاء الحوائج بعدما أن كانت للعبرة وتذكر الآخرة.

وهذه المقالاتُ أنواعُها شتى، ولكنّ جنسَها واحدٌ، تكشفُ اللثامَ عن حقيقة طائفةِ ابن عربي حامل لواءِ الوحدة، وتغوصُ في تفكيكِ المصطلحات الغامضةِ مثل تحمّل الأذى عن الخلقِ، ولطافة الحالِ، وتناقشُ المقالات الفاسدةِ التي أضرّت بالعقيدةِ، حتى ادعت طائفة من الصوفية أنهم يضمنون الجنةَ ويملكون الشفاعةَ، وتحذّرُ من الترويجِ للشطحاتِ والخرافاتِ، وتعرّجُ على جهودِ بعض علماء حضرموتَ وأدبائها في التصدّي لانحرافات الصوفية.

فأيّ قلبٍ يشعُّ بنور الإيمانِ لا يشمئزُّ من هذه الطوامِ التي نحن واردون سوقها، وأيّ عينٍ لا تذرفُ الدمعَ على التوحيدِ وهي تشاهدُ المناظرَ التي نحن قادمون على عرضِها، وأيّ عقلٍ مستنيرٍ لا ينكرُ تلك المخازي والترهات، وأيّ جلدٍ لا يقشّعرُّ من ذكرها، فيا لله كم شوّهت هذه الخرافات جمالَ الإسلام، والذي يصلُ إلى خاتمةِ المقالاتِ يحمدُ الله تعالى شاكرا له على السلامةِ من هذه الاعتقادات الفاسدة.

وهذه الدراسةُ تحوي عدةِ فصول:

الفصل الأول: وجوبُ تصحيحِ العقيدةِ وتحقيقِ التوحيدِ.

الفصل الثاني: الصوفيةُ (تعريفها – نشأتها – عقائدها).

الفصل الثالث: دراسةٌ ميدانيةٌ عن واقعِ الصوفيةِ المعاصرِ في تهامة اليمن.

الفصل الرابع: جدولٌ بياني عن الزياراتِ الشركيةِ والبدعيةِ في تهامة اليمن.

الفصل الخامس: دراسةٌ موجزةٌ عن أهم الكتبِ والإصدارات المعتمدةِ لدى الصوفيةِ في تهامة اليمن.

الفصل السادس: وسائلُ مواجهةِ المدِّ الصوفي.

ثم خاتمة تُختم بها دراستُنا هذه.

والله الموفقُ والهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول: وجوبُ تصحيحِ العقيدةِ وتحقيقِ التوحيدِ

التوحيدُ هو أولُ الدينِ وآخرُه وظاهرُه وباطنُه، ولأجلِه خُلقت الخليقةُ، وأُرسلَت الرسلُ، وأُنزلت الكتبُ، وبه افترقَ الناسُ إلى مؤمنين وكفار، وفيه وقعتْ الخصومةُ بين الأنبياءِ وأممِهم، ومنْ أجلِه شُرعَ الجهادُ وقامتْ الحربُ على ساقِها بين الموحدين والمشركين، ولأجلِه نُصِبتْ الموازين، وقامتْ سوقُ الجنةِ والنارِ، فهو لبابُ الرسالاتِ السماويةِ، وعمودُ الإسلامِ وشعارُهُ الذي لا ينفكّ عنه؛ بلْ هوَ أصلُ الدينِ الإسلامي وحقيقتُه الذي لا يقبلُ اللهُ من أحدٍ سواه.

فاللهُ عزَّ وجلَّ لم يخلقْ خلقَه عبثًا، ولم يتركْهم سدى وهملًا؛ بلْ خلقَ الخليقةَ أجمعين لأعظمَ غايةٍ وأسمى مقصدٍ ألا وهو تحقيقُ العبوديةِ للهِ وحدَه لا شريكَ له، قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات (٥٦ - ٥٨)].

والتوحيدُ هو حقُّ اللهِ على العبيدِ الذي لا نجاةَ لهم من العذابِ إلا به.

فعنْ معاذ بنِ جبل قالَ: "كنتُ رديفَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم على حمارٍ، فقالَ: يا معاذ، أتدري ما حقُّ اللهِ على العبادِ، وما حقُّ العبادِ على اللهِ؟ فقلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ.

قالَ: حقُّ الله علِى العبادِ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقُّ العبادِ على اللهِ أن لا يعذبَ مَنْ لا يشركُ به شيئًا" رواه البخاري ومسلم.

بيانُ حقيقةِ التوحيدِ:

ليس المرادُ في هذا المطلبِ بيانَ حقيقةِ التوحيدِ بجميعِ أقسامِه: ربوبيةً وألوهيةً وأسماء وصفات، وإنما المرادُ بيانُ نوعٍ من أنواعِ التوحيدِ وهو توحيدُ الإلهيةِ، ويُقالُ له: توحيدُ العبادةِ. وهذا التوحيدُ هو إفرادُ اللهِ سبحانه وتعالى بجميعِ أنواعِ العبادةِ قولًا وفعلًا، ظاهرًا وباطنًا، وهذا يتضمن أمرين:

أحدهما: أن يكونَ المرءُ عبدًا للهِ وحدَه.

الثاني: أنْ لا يشركَ معه في عبادتِه غيرَه، لا مَلَكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمَه اللهُ: (التوحيدُ أن تعبدَ اللهَ وحدَه لا شريكَ له، والإشراكُ أنْ تجعلَ معَ اللهِ إلهًا آخرَ).

إنَّ حقيقةَ توحيدِ الإلهيةِ يقومُ على مطلبين:

الأول: توحيدُ اللهِ بالإرادةِ والقصدِ، بحيثُ يكونُ اللهُ هو الغايةُ والمقصودُ بالعبادةِ دونَ سواه.

الثاني: توحيدُ اللهِ بالاستعانةِ والتوكلِ، بحيثُ لا يتعلق القلبُ في جلبِ نفعٍ أو دفعِ ضرٍّ بسواه سبحانه.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة (٥)]، وقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود (١٢٣)]، وقَالَ اللَّهُ جَلَّ في عُلاه: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزّمّل (٨-٩)].

وعلى هذا فالشركُ إما أن يكونَ:

- بعدمِ إخلاصِ القصدِ والإرادةِ؛ بإرادةِ غيرِ اللهِ بالحبِّ والتألُّهِ، فلا يكون اللهُ هو غايةُ العبدِ ومرادُه.
- وإما أنه يكونُ باتخاذِ وسائطَ في جلبِ النفعِ أو دفعِ الضرّ، سواءً اتخذَ تلك الوسائط بمجرد الدعاءِ والطلبِ أو بالتقربِ والعبادةِ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمهُ اللهُ: (والقلبُ فقيرٌ بالذاتِ إلى اللهِ من جهتين:

- من جهةِ العبادةِ، وهي العلةُ الغائيةُ.
- ومن جهةِ التوكلِ والاستعانةِ، وهي العلةُ الفاعلةُ.

فالقلبُ لا يفلحُ ولا يسرُّ ولا ينعمُ إلا بعبادةِ ربِّه وحدَه، وهذا لا يحصلُ له إلا بإعانةِ اللهِ عز وجل.

فهو دائمًا مفتقرٌ إلى حقيقةِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة (٥)].

وإخلاصُ الحبّ للهِ بحيث يكونَ اللهُ هو غايةُ مرادِه ونهايةُ مقصودِه، وهو المحبوبُ

له بالقصدِ الأولِ، وكلُّ ما سواه إنما يحبُّه لأجلِه ولا يحبُّ شيئًا لذاته إلا اللهَ، وفي سعيه لهذا المطلوبِ لابدَّ أن يكونَ مستعينًا باللهِ، متوكلًا عليه مفتقرًا إليه في حصولِه، فالعبدُ مفتقرٌ إلى اللهِ من حيثُ هو المطلوبُ المحبوبُ المرادُ المعبودُ، ومن حيثُ هو المسئولُ المستعانُ به المتوكلُ عليه، ولا تتمُّ عبوديةٌ للهِ إلا بهذين) اهـ بتصرف.

التوحيدُ فطرةُ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها:

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف (١٧٢-١٧٣)].

قالَ ابنُ كثير رحمهُ اللهُ تعالى: (يخبرُ تعالى أنَّه استخرجَ ذرية بني آدمَ مِن أصلابِهم شاهدين على أنفسِهم أنَّ اللهَ ربُّهم ومليكُهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنَّه تعالى فطرَهم على ذلك وجبلَهم).

وفي الصحيحين من حديثِ أنس بن مالك، أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "يُقالُ لأهونِ أهلِ النارِ عذابًا: لو كانت لكَ الدنيا وما فيها ومثلُها معها أكنتَ مفتديًا بها؟ فيقولُ: نعم. فيقولُ اللهُ: قدْ أردتُ منكَ أهونَ مِنْ هذا. قدْ أخذتُ عليك في ظهرِ آدمَ أن لا تشركَ بي شيئًا فأبيتَ إلا الشركَ".

وقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلاه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرّوم (٣٠)].

فالتوحيدُ هو فطرةُ اللهِ عز وجل التي فطرَ الناسَ عليها، فإنَّ النفسَ البشريةَ بفطرتِها إذا تُرِكت كانت مقرةً للهِ سبحانه وتعالى بالإلهيةِ، مُحبةً له سبحانه، تعبدُه لا تشرك به شيئًا.

كما قالَ صلى الله عليه وسلم: "كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرةِ، فأبواه يهودانِه أو ينصرانِه أو يمجسانِه" أخرجاه في الصحيحين من حديثِ أبي هريرة.

وقالَ صلى اللهُ عليه وسلم: "يقولُ اللهُ تعالى: إني خلقتُ عبادي حنفاء، فاجْتَالتْهُم الشياطين" رواه مسلم.

قالَ ابنُ كثير: (الفطرةُ التي فُطروا عليها - أي: الخلق - هي الإقرارُ بالتوحيدِ).

فالأصلُ في فطرةِ بني آدم توحيدُ اللهِ عزَّ وجل وهو الإسلام، وبيانُ ذلك بأمرين:

الأمرُ الأول: أن النفسَ الإنسانيةَ لا يمكنُ أن تخلوَ عن الإرادةِ بحالٍ، وتلك الإرادةُ لابد لها من مرادٍ وغايةٍ، والنفسُ مفطورةٌ على أن لا يكونَ مرادُها وغايتُها إلا اللهَ، فلا تطمئن إلا إليه سبحانه وتعالى.

قالُ شيخُ الإسلامِ: (إنَّ النفسَ لا تخلو عن الشعورِ والإرادةِ؛ بل هذا الخلوُّ ممتنعٌ فيها، فإن الشعورَ والإرادةَ من لوازم حقيقتِها، ولا يتصورُ أن تكونَ النفسُ إلا شاعرةً ومريدةً، والنفسُ لها مطلوبٌ مرادٌ بضرورةِ فطرتِها، وكونُها مريدةً من لوازم ذاتِها، ولا يتصورُ أن تكونَ نفسُ الإنسانِ غيرَ مريدةٍ، ولهذا قالَ صلى اللهُ عليه وسلم: "أصدقُ الأسماءِ حارث وهمام".

وهي حيوان، وكلُّ حيوانٍ متحركٌ بالإرادةِ، فلابد لها من حركةٍ إراديةٍ، وإذا كان كذلك فلابدَّ لكل مريدٍ من مُرادٍ، وهذا المرادُ هو الإلهُ الذي يألهُه القلبُ.

فإذًا: لابدَّ لكلِّ عبدٍ من إلهٍ، فعُلِمَ على أنَّ العبدَ مفطورٌ على أن يحبَّ إلهَه).

وقالَ في موضعٍ آخر: (إن الإنسانَ حساسٌ يتحركُ بالإرادةِ، وقد ثبت في الصحيحِ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم: "أصدقُ الأسماءِ حارث وهمام" فالحارثُ: الكاسبُ الفاعلُ، والهمام: فعَّالٌ من الهَمِّ، والهمُّ أولُ الإرادةِ.

فالإنسانُ له إرادةٌ دائمًا، وكلُّ إرادةٍ فلا بد لها من مُرادٍ تنتهي إليه؛ فلا بدَّ لكلِّ عبدٍ من مُرادٍ محبوبٍ هو منتهى حبِّه وإرادتِه، فمن لم يكن اللهُ معبودَه ومنتهى حبِّه وإرادتِه بل استكبرَ عن ذلك فلابدَّ أن يكونَ له مرادٌ محبوبٌ يستعبدُه ويستذلُّه غيرُ اللهِ، فيكونَ عبدًا ذليلًا لذلك المرادِ المحبوبِ).

الأمر الثاني: أن حقيقةَ العلاقةِ بين العبدِ وربِّه هي المحبةُ للهِ والافتقارُ إليه، ولهذا فسرَ أهلُ العلمِ العبادةَ بأنها كمالُ الحبِّ وكمالُ الذلِّ.

قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه اللهُ: (وعبادتُه تتضمنُ كمالَ الذلِّ له وكمالَ الحبِّ له، وذلك يتضمنُ كمالَ طاعتِه).

فكمالُ الذلِّ يؤدي إلى امتثالِ الأوامرَ واجتنابِ النواهي، وكمالُ الحبِّ هو الدافعُ في السيرِ إلى اللهِ عز وجل.

قالَ ابنُ القيمِ رحمه الله: (لما كانت عبادتُه تعالى تابعةً لمحبتِه وإجلالِه، وكانت المحبةُ نوعين: محبةٌ تنشأُ عن الإنعامِ والإحسانِ، فتوجبُ شكرًا وعبوديةً، ومحبةٌ تنشأُ عن جمالِ المحبوبِ وكمالِه، فتوجبُ عبوديتَه وطاعتَه).

فلهذا كانَ سبحانه وتعالى مستحقًّا وحدَه للعبادةِ لأمرين:

أولهما: إنعامُه سبحانه وتعالى على خلقِه وإحسانُه إلى عبادِه وربوبيتُه لهم، فإن النفوسَ مفطورةٌ على حبِّ من أحسنَ إليها، فقيرةٌ إليه ولا إحسانَ إلا من اللهِ، كما قالَ اللَّهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل (٥٣)].

ولهذا استدلَّ إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام بإحسانِ اللهِ إلى خلقِه في الدعوةِ إلى توحيده سبحانه وتعالى، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت (١٦-١٧)].

وقال تعالى عن إبراهيمَ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل (١٢٠-١٢١)].

وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل (١١٤)].

وقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة (١٥٢)].

وقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم (٧).

الثاني: كمالُه سبحانه وتعالى في أسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، فالعبادُ مفطورون على حبِّ الكمالِ، والكمالُ المطلقُ من كلِّ وجهٍ للهِ وحدَه، فاقتضى ذلك أن يكونَ حبُّهم وتألهُهم للهِ وحدَه لا شريكَ له.

قالَ ابنُ القيم رحمه اللهُ: (لا ريبَ أن كمالَ العبوديةِ تابعةٌ لكمالِ المحبةِ، وكمالَ المحبةِ تابعةٌ لكمالِ المحبوبِ في نفسِه، واللهُ سبحانه له الكمالُ المطلقُ التامُّ من كلِّ وجهٍ، الذي لا يعتريه توهمُ نقصٍ أصلًا، ومَنْ هذا شأنُه فإن القلوبَ لا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليها منه ما دامت فطرُها وعقولُها سليمةً).

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص (١-٢)].

قالَ ابنُ كثير عند تفسيرِ هذه الآيةِ: (يعني هو الواحدُ الأحدُ الذي لا نظيرَ له ولا وزيرَ ولا نديدَ ولا شبيهَ ولا عديلَ، ولا يُطلق (أحد) في الإثباتِ إلا على اللهِ عزَّ وجل، لأنه الكاملُ في جميعِ صفاتِه وأفعالِه).

وقالَ الخطابي: (الصمدُ هو السيدُ الذي يُصْمَدُ إليه في الأمور، ويُقْصَدُ في الحوائج والنوازل).

فالآيةُ الأولى إثباتٌ لتوحيدِه وتفردِه سبحانه بصفاتِ الكمالِ، والآيةُ الثانيةُ إثباتُ أنه هو الذي يستحقُّ أن يَصْمِدَ إليه الخلقُ وحدَه ويقصدونَه.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم (٦٥)] ففي هذه الآيةِ أمرَ سبحانه بعبادتِه عز وجل، وعللَ ذلك بأنه لا سَمي له ولا ندَّ ولا كفؤ.

فالنفسُ البشريةُ مفطورةٌ على توحيدِ اللهِ عزَّ وجل، فهي مريدةٌ ولابدَّ لها من مُرادٍ، وهي مفطورةٌ على حبِّ الكمالِ، كما أنها مفطورةٌ على حبِّ من أحسنَ إليها.

فالمرادُ والغايةُ الكاملُ الكمالَ المطلقَ المنعمُ الذي ما بالخلقِ من نعمةٍ فهي منه هو اللهُ سبحانه وتعالى.

فكانت النفسُ مفطورةً بالضرورةِ على توحيدِه عزَّ وجل.

التوحيدُ دعوةُ الرسلِ جميعًا:

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل (٣٦)].

وقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء (٢٥)].

وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف (٤٥)].

فالتوحيدُ دعوةُ الرسلِ جميعًا، بلْ هو الغايةُ التي بُعثتْ لأجلِها جميعُ الرسلِ وهو عبادةُ اللهِ وحدَه لا شريكَ له.

قالَ اللهُ تعالى عن أولِ الرسلِ نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود (٢٥-٢٦)].

وقالَ سبحانه عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف (٦٥)].

وقالَ تعالى عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف (٧٣)].

وقالَ عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف (٨٥)].

وقالَ عن إبراهيم الخليلِ عليه السلام: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ

اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت (١٦-١٧)].

وقالَ تعالى عن يوسفَ عليه السلام: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف (٣٩-٤٠)].

وقالَ تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف (١٣٨-١٤٠)].

وقالَ سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة (٧٢)].

وقالَ سبحانه على لسانِ نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر (١١)].

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ

أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر (٦٥)].

ولهذا المعنى كانَ جميعُ الأنبياء ومَنْ اتبعَهم مسلمين؛ لأن التوحيدَ هو الإسلامُ، فإن الإسلامَ هو إسلامُ القصدِ والنيةِ لوجهِ اللهِ وحده، كمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء (١٢٥)].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمهُ الله: (دينُ الإسلامِ هو الذي بَعَثَ اللهُ به الأولين والآخرين من الرسلِ، وهو الدينُ الذي لا يقبلُ اللهُ من أحد دينًا إلا إياه، وهو حقيقةُ العبادةِ لربِّ العالمين).

وقالَ أيضًا: (وهذا الدينُ هو دينُ الإسلامِ الذي لا يقبلُ اللهُ دينًا غيرَه لا من الأولين ولا من الآخرين؛ فإن جميعَ الأنبياءِ على الإسلامِ).

قالَ تعالى عن نوح: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس (٧١-٧٢)].

وقالَ عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ

يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة (١٣٠-١٣٢)].

وقالَ عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس (٨٤)].

وقالَ في خبرِ المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة (١١١)].

وقالَ فيمن تقدم من الأنبياء عليهم السلام؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة (٤٤)].

وقالَ عن بلقيس أنها قالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل (٤٤)].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران (٨٥)].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية: (فالإسلامُ يتضمنُ الاستسلامَ للهِ وحدَه، فمن استسلَمَ له ولغيرِه كان مشركًا، ومنْ لم يستسلمْ له كانَ مستكبرًا عن عبادتِه كافرًا، والاستسلامُ له وحدَه يتضمنُ عبادتَه وحدَه، وطاعتَه وحدَه وهذا دينُ الإسلامِ الذي لا يقبلُ اللهُ غيرَه).





الفصل الثاني: الصوفية (تعريفها - نشأتها - عقائدها)

أولًا: تعريفُ الصوفية:

لغةً: قيلَ مأخوذةٌ من كلمةٍ يونانية (صوفيا) ومعناها الحكمةُ، وقيلَ: نسبةً إلى الصوفِ، وهذا هو المعنى الأقربُ للصحةِ؛ لأنَّ لبسَ الصوفِ كان علامةً على الزهدِ[١].

اصطلاحًا: هي حركةٌ دينيةٌ انتشرت في العالمِ الإسلامي في القرنِ الثالثِ الهجري كنزعاتٍ فرديةٍ تدعو إلى الزهدِ وشدةِ العبادةِ؛ كردِّ فعلٍ مضادٍّ للانغماسِ في الترفِ الحضاري، ثم تطورتْ تلك النزعاتُ بعد ذلك حتى صارت طرقًا مميزةً معروفةً باسم الصوفيةِ[٢].

ثانيًا: نشأتها:

إنَّ بدعةَ التصوفِ أولُ ما ظهرتْ كانت مغلفةً بغلافِ العبادةِ والزهدِ، وهذان أمران مقبولان في الإسلامِ، بل مرغوبٌ فيهما[٣]، وعند نشأةِ التصوفِ لم يكنْ هناك تمييزٌ كاملٌ للمتصوفةِ، بل كانَ الأمرُ مقتصرًا على المبالغةِ في الزهدِ وملازمةِ

١.انظر كتاب حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد بن ربيع المدخلي ص ١١.
٢.انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١/٢٥٣.
٣.انظر إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية إصدار دار القاسم ص ١٢.

الذكرِ والخوفِ الشديدِ عند الذكرِ الذي قد يؤدي إلى الإغماءِ أو الموتِ عندَ سماعِ آيةَ وعيدٍ، كما حدثَ لزرارة بن أوفى قاضي البصرة، فإنه قرأَ في صلاةِ الفجرِ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدّثر (٨)] فخرَّ ميتًا.

وقصةُ أبي جهر الأعمى الذي قرأَ عليه صالحُ المري فمات، وكان فيهم طوائفُ يُصعقون عندَ سماعِ القرآنِ.

يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمه اللهُ معلقًا على ذلك: (ولم يكنْ في الصحابةِ مَنْ هذا حالُه، فلما ظهرَ ذلك أنكرَ ذلك طائفةٌ من الصحابةِ والتابعين كأسماءَ بنت أبي بكر وعبدِ اللهِ بن الزبيرِ ومحمد بن سيرين؛ لأنهم رأوا ذلك بدعةً مخالفةً لما عُرِفَ من هدي الصحابةِ رضوان اللهِ عليهم)[1].

ثم انكشفتْ الصوفيةُ على حقيقتِها التي هي عليها الآن، وهذا شأنُ كلِّ بدعةٍ؛ إذ لا تكاد تظهرُ وتبدو إلا وتُحاطُ وتُسربَل بشيء من المعاني الإسلاميةِ المقبولةِ عند الناسِ بل المحبوبةِ المرغوبةِ عندهم، ثم ما تلبثُ أن تنكشفَ على حقيقتِها بعد برهةٍ من الزمنِ، فلم يكتملْ القرنُ الثالثُ الهجري حتى انكشفَ التصوفُ على حقيقتِه، وانتشرَ في الأمةِ انتشارًا ذريعًا، واستطاعَ المتصوفةُ أن يُظهِروا ما كانوا يخفونَه سابقًا، (والمطلعُ على الحركةِ الصوفيةِ منْ أولِ نشأتِها إلى حين ظهورِها العلني على ذلك النحو يجدُ أنَّ أساطين الفكرِ الصوفي جميعَهم في القرنين الثالثِ

١.انظر حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة للدكتور/ محمد بن ربيع المدخلي (ص: ١٢)

والرابعِ الهجري كانوا من الفرسِ، ولم يكنْ فيهم عربيٌّ قط).

ولقد بلغَ التصوفُ غايتَه من حيثُ العقيدةِ والتشريعِ في نهايةِ القرنِ الثالثِ الهجري، حيثُ استطاعَ الحسينُ بن منصور الحلاج أن يُظْهِرَ معتقدَه على الملأِ، ولذلك أفتى علماءُ عصرِه بكفرِه وقتلِه فقُتِلَ سنة (٣٠٩ هـ)، وبالرغم من ذلك فإن الصوفيةَ ظلتْ تواصلُ انتشارَها في أرضِ فارس على وجهِ الخصوصِ، ثم في العراق، وساعدَ على انتشارِها في فارس أن أقامَ رجلٌ يُسمى أبو سعيد الميهني نظامًا خاصًّا للخانات الذي أصبح فيما بعد مركزًا للصوفية، وقلَّده في ذلك عامةُ رجالِ التصوفِ، ومن هنا نشأتْ في منتصفِ القرنِ الرابعِ الهجري بداياتُ الطرقِ الصوفيةِ التي سرعان ما انتشرتْ في العراق ومصرَ والمغربِ.

وفي القرنِ السادسِ ظهرتْ مجموعةٌ من رجالِ التصوفِ كلٌّ منهم يزعمُ أنه من نسلِ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم؛ حيثُ استطاعَ كلٌّ منهم أن يقيمَ له طريقةً صوفيةً خاصةً، وأتباعًا مخصوصين، فظهرَ الرفاعيُّ في العراق، والبدويُّ في مصرَ، وكذلك الشاذليُّ في مصرَ، وتتابعَ ظهورُ الطرقِ الصوفيةِ التي تفرعتْ من هذه الطرقِ.

ثم انتقلتْ من البدعِ العمليةِ إلى البدعِ القوليةِ الاعتقاديةِ بعد أنْ دخلَت عليها عناصرُ خارجيةٌ، وهي كأي افتراقٍ يبدأُ يسيرًا ساذجًا ثم ينتقلُ إلى التأصيلِ والتقريرِ، ثم الإيغالِ في الإضلالِ والانحرافِ العظيمِ.

وفي القرنِ السادسِ والسابعِ والثامنِ الهجري بلغتْ الفتنةُ الصوفيةُ أوُّجَها، وأنشئوا فرقًا خاصةً بالدراويش، وظهرَ المجاذيبُ، وبنيتْ القبابُ على القبورِ في كلِّ ناحيةٍ، وذلك مع قيامِ الدولةِ الفاطميةِ في مصرَ، حيثُ بسطتْ سيطرتَها على أقاليم واسعةٍ من العالمِ الإسلامي وقامتْ بالبناءِ على المزارات والقبورِ المفتراةِ، كقبرِ الحسين بن علي والسيدةِ زينب وإقامتُهم بعد ذلك للموالدِ والبدعِ والخرافاتِ الكثيرةِ وتأليهُهم في النهايةِ للحاكمِ بأمرِ اللهِ الفاطمي العبيدي، واستطاعتْ الدولةُ الفاطميةُ (العبيدية) تجنيدَ هذه الفرقةِ الصوفيةِ وغزوَ العالمِ الإسلامي بهذه الجيوشِ الباطنيةِ[١].

ثالثًا: عقائدُ الصوفيةِ وأفكارُها:

أولًا: عقيدتُهم في اللهِ عز وجل: يعتقدُ المتصوفةُ في اللهِ عزَّ وجل عقائدَ شتى منها الحلولُ والاتحادُ، كما هو مذهبُ الحلاج، ومنها عقيدةُ وحدةِ الوجودِ، حيثُ لا انفصالَ بين وجودِ الخالقِ والمخلوقِ، كما هو مذهبُ ابنِ عربي، ومنهم من يعتقدُ بعقيدةِ الأشاعرة والماتريدية في ذاتِ اللهِ وأسمائِه وصفاتِه[٢].

ثانيًا: عقيدتُهم في الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم: ولهم في ذلك عقائدُ شتى: فمنهم من يزعمُ أن الرسولَ صلى اللهُ عليه وسلم لا يصلُ إلى مرتبتِهم وحالِهم، وأنه كان جاهلًا بعلومِ رجالِ التصوفِ، كما قالَ أبو يزيد البسطامي: (خُضنا بحرًا

١.انظر: إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية (ص: ١٢).
٢.انظر: الموسوعة الميسرة (٢٦٦/ ١).

وقفَ الأنبياءُ بساحلِهِ).

- ومنهم منْ يعتقدُ أن الرسولَ صلى اللهُ عليه وسلم هو قبةُ الكونِ وهو اللهُ المستوي على العرشِ وأن السمواتِ والأرضَ والعرشَ والكرسيَّ وكلَّ الكائنات خُلقتْ من نورِه، وأنه أولُ موجودٍ وهذه عقيدةُ ابنِ عربي وأتباعِه.

- ومنهم منْ لا يعتقدُ ذلك، بل يردُّه ويعتقدُ ببشريتِه ورسالتِه، ولكنهم مع ذلك يستشفعون به ويتوسلون به صلى اللهُ عليه وسلم إلى اللهِ تعالى على وجهٍ يخالفُ عقيدةَ أهلِ السنةِ والجماعةِ[١].

ثالثًا: عقيدتُهم في الأولياء: حيثُ يعتقدُ الصوفيةُ فيهم عقائدَ شتى، فمنهم من يفضلُ الوليَّ على النبيِّ، ومنهم من يجعلُ الوليَّ مساويًا للهِ في كلِّ صفاتِه فهو يخلقُ ويرزقُ ويُحيي ويُميتُ ويتصرفُ في الكونِ، ولهم تقسيماتٌ للولايةِ، فهناك الغوثُ المتحكمُ في كلِّ شيءٍ في العالمِ[٢] والأقطابُ الأربعةُ الذين يمسكون الأركانَ الأربعةَ في العالمِ بأمرِ الغوثِ، والأبدالُ السبعةُ التي يتحكمُ كلُّ واحدٍ منهم في قارةٍ من القارات السبعِ بأمرِ الغوث، ومنهم النجباءُ وهم المتحكمون في المدنِ كلُّ نجيبٍ في مدينتِه.

فشبكةُ الأولياءُ العالميةُ هذه تتحكمُ في الخلقِ ولهم ديوانٌ يجتمعون فيه في غارِ حراء كلَّ ليلةٍ ينظرون في المقادير، ومنهم من لا يعتقدُ ذلك ولكنهم يتخذونهم

١.انظر: الموسوعة الميسرة (٢٦٦/ ٢).
٢.انظر: الموسوعة الميسرة (٢٦٦/ ٣).

وسائطَ بينهم وبين ربِّهم، سواءً كان في حياتِهم أو بعد مماتِهم[١].

رابعًا: عقيدتُهم في الدينِ الإسلامي: يعتقدُ الصوفيةُ أن الدينَ شريعةٌ وحقيقةٌ، والشريعةُ هي الظاهرُ من الدين، وأنها البابُ الذي يدخلُ منه الجميعُ، والحقيقةُ هي الباطنُ الذي لا يصلُ إليه إلا المصطفون الأخيارُ[٢].

خامسًا: عقيدتُهم في الجنةِ والنارِ: يعتقدُ الصوفيةُ أن طلبَ الجنةِ منقصةٌ عظيمةٌ، وأنه لا يجوزُ للولي أن يسعى إليها ولا يطلبَها، ومن طلبَها فهو ناقصٌ، وإنما الطلبُ عندهم الرغبةُ في الفناءِ المزعومِ في اللهِ، والاطلاعُ على الغيبِ، والتصرفُ في الكونِ. هذه هي جنةُ الصوفيةِ المزعومة!!

أما النار فإن الصوفيةَ يعتقدون أن الفرارَ منها لا يليقٌ بالصوفي الكاملِ؛ لأن الخوفَ منها طبعُ العبيدِ وليس الأحرارَ، ومنهم من تبجحَ أنه لو بصقَ على النارِ لأطفأَها[٣].

سادسًا: عقيدتُهم في إبليس وفرعون: يعتقدُ الصوفيةُ أن إبليسَ أكملُ العبادِ وأفضلُ الخلقِ توحيدًا؛ لأنه لم يسجدْ إلا للهِ – بزعمهم – وأن اللهَ قد غفرَ له ذنوبَه وأدخلَه الجنةَ، وكذلك فرعون عندهم أفضلُ الموحدين؛ لأنه قالَ: ﴿فقَالَ

١.انظر إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية (ص: ٣٢).
٢.انظر الموسوعة الميسرة، (٢٦٧/ ١).
٣.انظر إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية (ص: ٣٥، ٣٤، ٣٣)

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات (٢٤)]، فعَرِفَ الحقيقةَ؛ لأن كلَّ موجودٍ هو الله، ثم هو قد آمنَ - في زعمهم - ودخلَ الجنةَ كما هو مذهبُ ابنِ عربي الطائي وأتباعِه[١].

سابعًا: العباداتُ عند الصوفيةِ: يعتقدُ الصوفيةُ أن الصلاةَ والصومَ والحجَّ والزكاةَ هي عباداتُ العوامِّ، أما هم فيسمون أنفسَهم الخاصةَ؛ أو خاصةَ الخاصةِ ولذلك فلهم عباداتٌ مخصوصةٌ، وقد شرعَ كلُّ قومٍ منهم شرائعَ خاصةً بهم، كالذكرِ المخصوصِ بهيئات مخصوصةٍ، والخلوةِ والأطعمةِ المخصوصةِ والملابسَ المخصوصةِ والحلقاتِ الخاصةِ.

وإذا كانت العباداتُ في الإسلامِ لتزكيةِ النفسِ وتطهيرِ المجتمعِ؛ فإن العبادات في التصوفِ هدفُها ربطُ القلبِ باللهِ للتلقي عنه مباشرةً والفناءِ فيه، واستمدادِ الغيبِ منَ الرسولِ، حتى يقولَ الصوفيُّ للشيءِ: كُنْ فيكون، ويطلعَ على أسرارِ الخلقِ وينظرَ في كلِّ الملكوت[٢].

ثامنًا: عقيدتُهم في الحلالِ والحرامِ: أهلُ وحدةِ الوجودِ لا شيءَ يحرمُ عندهم، ولذلك كان منهم الزنادقةُ واللوطيةُ ومن يأتون الحميرَ جهارًا نهارًا، ومنهم من اعتقدَ أن اللهَ قد أسقطَ عنه التكاليفَ وأحلَّ له ما حرمَ على غيرِه[٣].

١.انظر إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية (ص: ٣٥، ٣٤، ٣٣)
٢.انظر: إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية (ص: ٣٥، ٣٤، ٣٣)
٣.انظر: إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية (ص: ٣٥، ٣٤، ٣٣).

مصادرُ التلقي عند الصوفية:

- النبي صلى اللهُ عليه وسلم: ويقصدون الأخذَ عنه مباشرةً يقظةً أو منامًا.
- الخضر عليه الصلاةُ والسلام: ويقصدون لقياه والأخذَ عنه أحكامًا شرعيةً وعلومًا دينية، وكذلك الأورادَ والأذكارَ والمناقبَ.
- الإلهام: وهو أخذُ العلمِ مباشرةً عن اللهِ تعالى.
- الفراسة: وهي تختصُّ بمعرفةِ خواطرَ النفسِ وأحاديثها.
- الهواتف: وهو سماعُ الخطابِ من اللهِ تعالى أو من الملائكةِ أو الجنِّ الصالحِ أو أحدِ الأولياءِ أو الخضرِ أو إبليس، سواء كان منامًا أو يقظة، أو في حالةٍ بينهما بواسطة الأُذن.
- الإسراءات والمعاريج: ويقصدون بها عروجَ روحِ الولي إلى العالمِ العلوي وجولاتِها هناك، والإتيان بشتى العلومِ والأسرارِ.
- الكشف الحسي: وهو الكشفُ عن حقائقِ الوجودِ بارتفاعِ الحجبِ الحسيةِ عن عينِ القلبِ وعينِ البصرِ.
- الرؤى والمنامات: وتعتبرُ من أكثر المصادر اعتمادًا عليها عندهم، حيث يزعمون أنهم يتلقون فيها عن اللهِ تعالى أو عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم أو عن أحدِ شيوخِهم لمعرفةِ الأحكامِ الشرعيةِ.

- الذوق: وهو الذي ينظمُ جميعَ الأحوالِ والمقاماتِ، ويرى الغزالي في كتابِه (المنقذ من الضلال): إمكانَ السالكِ أن يتذوقَ حقيقةَ النبوةِ وأن يدركَ خاصيتها[١].



١.انظر: الموسوعة الميسرة (١/٢٦٥-٢٦٦).



الفصل الثالث: دراسةٌ ميدانيةٌ عن واقعِ الصوفيةِ المعاصرِ في تهامة اليمن

بين يديك أخي القارئُ الكريمُ دراسةً ميدانيةً عن واقعِ الصوفيةِ المعاصرِ في تهامة اليمن[١]، وقد شملتْ الدراسةُ ما يربو على العشرين منطقةٍ في تهامة في مساحةٍ تزيدُ على (٤٠٠ كم) من الشمالِ إلى الجنوب، و(١٠٠ كم) من الشرقِ إلى الغربِ.

حيثُ شملتْ الدراسةُ مدينةَ الحديدة وهي العاصمةُ الحيويةُ لمدنِ وقرى وأرياف تهامة اليمن، وكذا شملتْ المناطقَ والضواحي المتفرعةَ عنها، وهي ثلاثةُ اتجاهات:

- الاتجاهُ الشمالي لمدينةِ الحديدة، ويشملُ المناطقَ الواقعةَ على الطريقِ والممتدةَ من الحديدة إلى مدينةِ حرض المتاخمةِ للحدودِ السعودية العربيةِ.

- الاتجاهُ الجنوبي لمدينةِ الحديدة، ويشملُ المناطقَ الواقعةَ على الطريقِ الممتدةَ من الحديدة جنوبًا إلى مدينةِ حيس، وهذه الطريقُ تؤدي إلى مدينةِ تعز الشهيرة.

- الاتجاهُ الشرقي لمدينةِ الحديدة، ويشملُ المناطقَ الواقعةَ على الطريقِ الممتدةِ من الحديدة شرقًا إلى باجل، وما يحاذيها من جبالِ برع، وهذه الطريقُ تؤدي إلى العاصمةِ صنعاء.

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات نموذجًا للاستبيان عن الصوفية رقم (١)

أسماءُ المدنِ والمدنِ الثانوية والقرى التي شملتها الدراسةُ، وهي:

م	المدينة	م	المدينة
١	الحديدة	١٣	المنصورة
٢	الضحى	١٤	المنصورية
٣	الزيدية	١٥	بيت الفقيه
٤	القناوص	١٦	الدريهمي
٥	خميس الواعظات	١٧	زبيد
٦	عبس	١٨	التربية
٧	ميدي	١٩	التحيتا
٨	حرض	٢٠	الجراحي
٩	المراوعة	٢١	المحط
١٠	القطيع	٢٢	حبس
١١	باجل	٢٣	الخوخة
١٢	برع	٢٤	المخا

وعددُ سكانِ المناطقَ التي شملَها الاستبيانُ يزيدُ على المليون والنصف تقريبًا، ونسبةُ المتصوفةِ أو المتأثرين بالتصوف إلى عددِ السكان (٤٦٪).

وهذا عددٌ كبيرٌ جدًّا ساهمَ في كبرِ وكثرةِ المنتمين إلى الصوفيةِ، وللتصوف في تهامة عاملان:

- -غلبةُ الجهلِ على الناسِ، وعدمُ وجودِ من ينبهُهم إلى خطرِ الشركِ والبدعِ والضلالات.
- -الجذورُ التاريخيةُ للصوفيةِ في مناطقَ تهامة اليمن؛ حيث إن الصوفيةَ تضربُ بعمقٍ في تاريخِ هذه المنطقةِ.

وهذا العددُ الكبيرُ من الصوفيةِ في تهامة اليمن يشملُ جميعَ شرائح المجتمعِ، حيثُ يوجدُ على هيئاتٍ وكياناتٍ متنوعةٍ ومتعددةٍ، فيوجدون على هيئةِ:

- مراكزَ علميةٍ مبثوثةٍ في مناطقَ تهامة اليمن بنسبة (٢٤٪).
- مدارسَ شرعيةٍ بنسبة (١٩٪).
- شخصياتٍ بارزةٍ بنسبة (٩٥٪) من مناطق الدراسةِ.

وهذه الشخصيات منهم:

- العلماء بنسبة (٧٦٪).
- الأعيان بنسبة (٨٥٪).
- التجار بنسبة (٨١٪).
- المناصيب (٥٧٪).

وأما العوام من الصوفيةِ فإن نسبتَهم في المناطقِ التي شملتْها الدراسةُ (١٠٠٪) بحيث لا يكاد تخلو منهم منطقةٌ.

وقد كانَ لهذه الهيئاتِ والمراكزَ والشخصياتِ دورُهم البارزُ والبالغُ الأثرِ على المجتمعِ في نواحٍ مختلفةٍ، فمن أبرز أنواعِ التأثيرِ التي كان لها:

- التأثير العلمي وكان بنسبة (٦٧٪).
- التأثير المالي والاقتصادي وكان بنسبة (٦٢٪).
- التأثير الإعلامي وكان بنسبة (١٩٪).
- التأثير الاجتماعي والعلاقاتُ العامةُ، فتصلُ نسبتُه إلى (٧١٪) في مجملِ مناطق الاستبيان.

وقد شملتْ الدراسةُ جوانبَ عدةً على النحو التالي:

-الجانبَ العقدي.

-الجانبَ العلمي.

-الجانبَ الدعوي.

-الجانبَ الاجتماعي.

-الجانبَ السياسي.

وفي ختامِ هذا الفصلِ نذكرُ شيئًا من قصصٍ وأخبارِ الصوفيةِ المعاصرةِ، وسنفصلُ القولَ على هذه الجوانب - إن شاء اللهُ تعالى- جانبًا تلو الآخر:

أولًا: الجانب العقدي:

كما هو معلومٌ فإن الصوفيةَ بما تحملُه من بدعٍ وضلالاتٍ وانحرافٍ مبينٍ عن منهجِ الأنبياءَ والمرسلين قد خرجت علينا اليومَ بثوبٍ جديدٍ وحُلةٍ عصريةٍ مع حفاظِها على ما كانت عليه من طرقٍ وعقائدَ ونسكٍ، وسنتعرضُ في هذا الجانبِ من الدراسةِ إلى الناحيةِ العقديةِ من خلالِ ما يلي:

الشركُ والبدعُ عند الصوفيةِ:

- **الشركُ:**

فقد قامت الصوفيةُ بتشجيعِ الزياراتِ الشركيةِ والبدعيةِ ودفعِ الناسِ إليها وتجديدِ بعضِ الزيارات التي اندثرتْ ونسيها الناسُ وعفى عليها الزمانُ وإعادةِ بناءِ ما تهدمَ من الأضرحةِ والقبورِ.

فقد أُحييتْ كثيرٌ من الزياراتِ والأضرحةِ وحُضَّ الناسُ على زيارةِ تلك الأضرحةِ والقبورِ وتقديمِ القرابين وذبحِ النسائكَ لتلك القبورِ، ولقد أُعيدَ إحياءُ زيارتين في مدينةِ الحديدة بعد أن نُسيتْ، وحُضَّ الناسُ على زيارتِها وأقيمتْ الطقوسُ الشركيةُ عندها، وأما في القرى والأريافِ فإن القبورَ والزيارات التي أُحييت بالعشرات، وأما الزياراتُ والأضرحةُ القائمةُ من قبل فإنها بالمائيين.

والذي ظهرَ لنا من خلالِ الدراسةِ الميدانيةِ التي قمنا بها أن للصوفيةِ دورًا كبيرًا فعالًا في نشرِ الشركِ باللهِ عز وجل مِنْ ذبحٍ لغيرِ اللهِ ونذرٍ وطوافٍ وطلبٍ للشفاءِ من القبورِ والأضرحةِ التي يزعمُ أنها لأولياءٍ يُمنحون من التقديسِ والتعظيمِ، ويُرفعون إلى مراتبَ لا تحقُّ للأنبياء؛ بل لا تكونُ إلا للهِ ربِّ العالمين، فيسألونهم الشفاءَ وقضاءَ الحوائج وتفريجَ الكربات ويستعينون بهم ويستعيذون بهم من دون اللهِ؛ بل يسألونهم الشفاعةَ ويطلبونهم الولدَ والذريةَ وغيرَ ذلك من الفعالِ الشركيةِ. والله المستعان، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

ولقد تبينَ لنا من خلالِ الدراسةِ الميدانيةِ أن عددَ المزاراتِ والأضرحةِ التي تُقصدُ ويُطلبُ منها قضاءُ الحاجاتِ ما يقربُ من المائتي ضريح.

وأما القائمون على هذه المزاراتِ والأضرحةِ، فمنهم العلماءُ بنسبة (١٤٪)، ومنهم المناصيبُ بنسبة (٥٢٪)، ومنهم العوامُّ بنسبة (٥٢٪)، ومنهم الأعيانُ بنسبة (١٩٪)، ومنهم المرتزقةُ والنفعيون بنسبة (٤٣٪).

وأما كثافةُ الحضورِ وضَعْفُهُ من الزائرين فيختلفُ من منطقةٍ لأخرى، فالزياراتُ التي تحظى بحضورٍ كبيرٍ تبلغُ نسبتُها (٤٣٪)، بينما الزياراتُ التي حضورُها متوسطٌ فإن نسبتَها (٣٨٪)، وأما التي حضورُها ضعيفٌ فتصلُ نسبتُها إلى (٤٨٪).

وأغلبُ هذه المزارات تُقامُ لها زياراتٌ سنويةٌ بنسبة (٧٦٪) وزياراتٌ موسميةٌ بنسبة (٩٪) وأما (٣٨٪) من المزارات فإن زياراتها عامةٌ طوالَ العامِ ليس لها موعدٌ

محددٌ تُزار فيه.

وبعضُ هذه الزيارات تحظى بدعم المسئولين في بعضِ المناطق لها، وذلك بنسبةِ (٣٨٪)، وبعضُها تُدعمُ من بعضِ المنتفعين بها حسبَ ما تقتضيه مصلحتُهم، وذلك بنسبة (٩٪).

وهذه الزياراتُ والأضرحةُ والتي يُذبحُ عندها ويُطافُ حولَها ويُتبرَّكُ بها ويُتوسلُ بل يُستغاثُ بها وتُدعى من دون اللهِ ويُطلبُ منها السقيا والغيث، ويُسجدُ لها، وتُشَدُّ إليها الرحالُ، ويأتيها السحرةُ والمجاذيبُ، وتُقامُ عندها الرقصاتُ واللهو واللعبُ، ويحصلُ الاختلاطُ بين الرجالِ والنساءِ، وكأنها أعيادٌ بل هي أعيادٌ من أعيادِ الجاهليةِ الأولى، وكذا الحلفِ بها إذا أُريد تعظيمُ اليمين وتغليظُها، وهو أمرٌ منتشرٌ.

هذه الزيارات تُشَجَّعُ من قِبَلِ الصوفيةِ علمائِهم ودعاتِهم وطلابِ العلمِ منهم؛ بل يصلُ الأمرُ ببعضِهم للذهابِ إلى تلك الزيارات وحثِّ الناسِ عليها والدعوةِ إليها من على رءوسِ المنابرَ في خطبِ الجمعةِ والمحاضراتِ العامةِ.

ولعظيمِ خطرِ هذا الأمرِ وجسيمِ ضررِه فقد أفردناه بفصلٍ مستقلٍّ هو الفصلُ (الرابع).

- بدعُ الاعتقادِ:

حيثُ إنَّ العقيدةَ المعتمدةَ لدى غالبيةِ الصوفيةِ في تهامة اليمن هي العقيدةُ

الأشعريةُ، حيثُ أن المدَّ المذهبي لأغلبِهم شافعي، وأما من كان منهم مدُّه المذهبي حنفيٌّ فعقيدتُهم ماتريدية.

ومما يحسنُ الإيماءُ إليه أن المذهبين - الأشعري والماتريدي - في مراحلِهما المتأخرةِ حصلَ بينهما توافقٌ كبيرٌ، بحيث أن قضايا الخلافِ بينهما طفيفةٌ وفرعيةٌ.

ونتجَ عما سبق تقريرَه أمورٌ:

- تدريسُ كتبِ العقيدةِ الأشعريةِ كجوهرةِ التوحيدِ وشروحِها، وعقيدةِ العوامّ وشروحِها، وتقريرُ ما فيها من انحرافٍ في مسائلِ الصفاتِ والإيمانِ والقدرِ وغيرِها من مسائلِ الدينِ.
- العنايةُ بتدريسِ الشُّبهِ في التوحيدِ والصفاتِ، والاهتمامُ بالكتبِ التي تُعنى بذلك، كمصنفاتِ حسن السقاف ومحمد علوي المالكي وعمرَ عبد اللهِ كامل وغيرِهم.
- محاربةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ عقيدةً ومنهجًا وعلماءَ ومصنفاتٍ.

- **بدعُ العباداتِ والنسكِ:**

إن الصوفيةَ يقومُ أساسُ دينِها على النسكِ المبتدعِ والعباداتِ المحدثةِ، ولقد ولعوا بالأورادِ والأحزابِ والأذكارِ البدعيةِ وصنفوا فيها المصنفات والأجزاء، فلكلِّ طريقةٍ وِرْدُها الذي يخصُّها، بل صارَ لكلّ شيخِ طريقةٍ أو عالمٍ في طريقةٍ وردٌ يخصُّه

وأذكارٌ يختصُّ بالتعبدِ بها، وفي الفصلِ الخاصِّ بالمصنفات المعتمدةِ لدى الصوفيةِ بتهامة اليمن أوردنا جملةً من تلك الأورادِ والأجزاءِ الذكريةِ.

وأما الاحتفالُ بالموالدِ والأعيادِ البدعيةِ فحدثْ ولا حرج، فالاحتفالُ بالمولدِ النبوي وبذكرى الإسراءِ والمعراجِ والتي تُسمى "الرجيبة" وبالنصفِ من شهرِ شعبان ويسمونها "الشعبانية" أو عيد البهجة (أي: الفرح والسرور) والاحتفالُ بالهجرةِ النبويةِ وبانقضاءِ الحولِ والموالدِ والدروسِ في عزاءِ الأموات وغيرها من الاحتفالات البدعيةِ، كلُّ ذلك مما تميزتْ به الصوفيةُ وصارَ علامةً فارقةً بينهم وبين أهلِ السنةِ والحديثِ.

وثمةَ بدعٌ أخرى عند الصوفيةِ كتخصيصِ شهرِ رجبَ لقراءةِ صحيحِ البخاري تبركًا، وقراءةِ القرآنِ وإهداءِ ثوابِه إلى أرواحِ الموتى سواءً عند القبورِ أو ليس عندَها، وكذلك تلقينِ الموتى والابتهالات البدعيةِ في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ، وقراءةِ سورةِ يس على الأمواتِ، وغيرِ ذلك من البدعِ والمحدثاتِ.

الطرقُ الصوفيةُ ومناطقُها وكيفيةُ دخولِها اليمن:

الطرقُ الصوفيةُ الموجودةُ في مناطق تهامة اليمن متعددةٌ وكثيرةٌ، فمن أشهرِها وأكثرِها ذيوعًا وانتشارًا الطريقةُ الشاذلية، والطريقةُ النقشبندية والطريقةُ الميرغنية والطريقةُ القادرية والطريقةُ الأهدلية والطريقةُ التيجانية والطريقةُ الخامرية والطريقةُ البرهانية الدسوقية الشاذلية.

وسنعرفُ بعض هذه الطرق بشيء من التفصيلِ:

الطريقةُ الشاذلية:

نسبةً إلى الشيخِ أبي الحسن علي بن عبدِ اللهِ الشاذلي (ت ٦٥٦ هـ) ولكن أولَ مَن شهرَها ونشرَها ونشرَ علومَها في اليمنِ هو الشيخُ أبو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم القرشي الشاذلي (ت ٨٢١) واختصَّ بصحبةِ الشيخِ ناصر الدين بن الميلق الشاذلي، وعنه أخذَ الطريقةَ الشاذلية ثم رجعَ اليمنَ واستوطنَ قريةَ المخاء وفيها توفي وقبرُه بها، وهذه الطريقةُ هي إحدى الطرقِ الصوفيةِ في تهامة وأتباعُها ومريدُوها في كلِ منطقةٍ من مناطق تهامة.

وأما القائمون بهذه الطريقةِ والذين يروونها وخلفاؤها الذين ينشرونها فمنهم ذريةُ أبي الحسن الشاذلي في المخاء حيثُ قبرُه وهم سدنةُ القبرِ وأصحابُ الطريقةِ الشاذلية الأول.

ومنهم بنو المكرم في الحديدة الشيخُ محمد مكرم وابنُه عبدُ اللهِ وأحفادُهم من بعدهم.

ومنهم الشيخُ عبدُ القادرِ الشاذلي بالجراحي.

الطريقةُ النقشبندية:

لقد دخلتْ الطريقةُ النقشبندية اليمنَ في القرنِ الحادي عشر عند أولِ نشوئِها حين زارَ اليمنَ مُنشؤها الشيخُ تاج الدين زكريا العثماني النقشبندي الهندي (ت: ١٠٥٠) حين قَدِمَ من الهند إلى بيتِ الفقيهِ وأقامَ عند بني العجيل فأخذَها عنه أحمد بن محمد العجيل وأولادُه. وكذلكَ أخذَها عنه محمد باقي المزجاجي وعن المزجاجي أتباعُه ومريدوه من بعدِه.

والقائمون بهذه الطريقةِ والمنتسبون لها ومَن يرويها: هم بنو العجيل ببيتِ الفقيهِ وبنو المزجاجي بزبيد، وكذا بنو الفقيرِ زبيد وعامةُ أسانيدَ بيت الفقيرِ هي أسانيدُ بيت المزجاجي حيثُ بيت المزجاجي أخوالُ بيتِ الفقيرِ.

الطريقةُ الميرغنية:

وهي باسمِ الشيخِ محمد عثمان المرغني، والذي وصلَ إلى مدينةِ الحديدة في حدودِ سنةِ (١٣٠٠ هـ) وسكنَ بحارةِ الشام وبنى منزلَه فيها ثم خلفَه على الطريقةِ

الميرغنية الشيخُ محمد عبيد باش (ت: ١٣٤٤) وظلت الطريقةُ الميرغنيةُ في ولدِه من بعدِه ولا زالتْ قائمةً إلى يومِنا هذا وشيخُها في عصرِنا بالحديدة الشيخُ أحمد خليفة المدغفف، وأما القائمون عليها في بيتِ الفقيهِ فهم بنو الظهير وبنو الدرب.

الطريقةُ القادرية:

وهي من أشهرِ الطرقِ الصوفيةِ في تهامة، وهي نسبةً إلى الشيخِ عبد القادرِ الجيلاني ت (٥٦١ هـ)، وأما كيفيةُ دخولِ الطريقةِ اليمنَ فمِن بينِ ما ذُكر أنهم أخذوا الطريقةَ القادريةَ من صوفيةِ اليمن أحمد بن أبي الجعد وتوفي بضع وسبعين وسبعمائة وأبو بكر بن محمد بن أبي حربة ت (٧٩٤)، وبهذا يكون دخولُ الطريقةِ إلى اليمن في القرن السابع أو قبلَه بقليلٍ.

ويرويها بنو الفقير بالحديدة الشيخُ العزي بن إبراهيم بن محمد بن فقير عن أبيه عن جدّه، وهكذا إلى أن يبلغوا إلى الشيخِ عبد القادر الجيلاني.

وكما يروي الطريقةَ القادرية بنو المشرع وبنو الزجاجي بزبيد.

الطريقةُ الأهدلية:

نسبةً إلى الشيخِ علي بن عمر الأهدل (ت: ٦٠٩)، وقبرُه بالمراوعة، ويُقالُ أنه أخذَها في الأصلِ عن رجلٍ من أصحابِ الشيخِ عبد القادر الجيلاني يُسمى الأحوري، وقد كَثُرَ أصحابُه وأتباعُه، وتخرج منه جماعةٌ ممن اشتُهر منهم الشيخ أبو الغيث بن جميل وأحمد بن أبي الجعد.

والقائمُ على الطريقةِ هم بنو الأهدل بالمراوعة.

وأما بقيةُ الطرقِ فالخامرية بحيس، والتيجانية وفدتْ قريبًا إلى زبيد، والقائمُ عليها رجلٌ يُدعى محمد عبده غزالي.

وأما البرهانيةُ الدسوقية الشاذلية فلقد انتشرتْ في القناوص والزيدية وضواحِيها، والقائمُ عليها رجلٌ يُقالُ له أحمد شوعي، وقد وفدتْ إلى اليمن قريبًا عن طريقِ مدرسٍ سوداني قبلَ عدةِ سنوات[١].

- الشبهاتُ المثارة:

يعتمدُ الصوفيةُ اعتمادًا كبيرًا على إثارةِ الشبهاتِ لتقريرِ باطلِهم، شأنُهم شأنَ

١.انظر للاستزادة: في ذكر الطرق الصوفية وأسانيدها وشيء من طقوسها.
أ- الدرة الفريد في تاريخ الحديدة - أحمد عثمان مطير - ص (١٣٤)
ب- الزيارات والأولياء في تهامة - عبد الله خادم العمري - ص (٣٠)
ت- القبورية في اليمن - أحمد حسن المعلم - ص (٢٨٨).

أقرانِهم من أهلِ الأهواءِ والبدعِ، وهذه الشبهاتُ التي يثيرونُها مختلفةٌ ما بين شبهاتٍ في العقيدةِ والتوحيدِ وهي بنسبة (٨١٪)، وذلك من خلالِ الدراسةِ الميدانيةِ التي تمَّ إعدادُها في مناطق تهامة اليمن، ومنها شبهاتٌ في الفقهِ والأحكامِ بنسبة (٤٣٪)، وثمة شبهاتٌ أخرى في الأذكارِ والآدابِ والسلوكِ بنسبة (٩٪)، وهذه الشبهاتُ تُبَثُّ لشرائحَ مختلفةٍ من المجتمعِ، فمنها ما يوجَّهُ للعوامِّ بنسبة (٧١٪)، ومنها ما يوجَّهُ للمثقفين بنسبة (٤٣٪)، ومنها ما يوجهُ للأعيان والمسئولين بنسبة (٣٨٪).

وأهمُّ الشبهاتِ المثارة في العقيدةِ والسلوكِ:

-الدعوةُ إلى الزياراتِ الشركيةِ والبدعيةِ بحجةِ تعظيمِ الأولياءِ والقيامِ بحقِّهم وما لهم من الكراماتِ والجاهِ عند اللهِ عز وجل.

-الزعمُ بأنَّ الاستغاثةَ والذبحَ والنذرَ لغيرِ اللهِ ليس من الشركِ؛ إما لأنَّ العبادةَ مخصوصةٌ بالصلاةِ والزكاةِ ونحوها والمذكوراتُ ليستْ من العبادةِ، أو لأن الشركَ إنما هو في اعتقادِ الربوبيةِ لغيرِ اللهِ.

-الخلطُ بين التوسلِ والاستغاثةِ، ومنْ ثمَّ تجويزُ الاستغاثةِ ودعاءِ غيرِ اللهِ بدعوى أنها توسلٌ لقولِه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة (٣٥)]. والوسيلةُ هي: كلُّ ما

يُتَقَرَّبُ به إلى اللهِ من توسلٍ بحيٍّ أو ميتٍ، ويريدون دعاءَ الميتِ والاستغاثةَ به الذي هو عينُ الشركِ[١].

-الاحتفالُ بالمولدِ النبوي وغيرِه من المناسباتِ البدعيةِ بحجةِ محبةِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم، وأن منْ لم يحتفلْ بالمولدِ فما هو إلا مبغضٌ للرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم.

-إقرارُ كثيرٍ من البدعِ التعبديةِ في الأقوالِ والأفعالِ بحجةِ كونِها بدعةً حسنةً.

- وصفُ أهلِ السنةِ والجماعةِ بالوهابية، وأنهم متشددون في الدينِ ويُكَفِّرُون المسلمين، وأن الشيخَ الإمامَ محمد بن عبد الوهاب النجدي ضالٌّ كافرٌ عميلٌ جاسوس للإنجليز، وأن أتباعَ الدعوةِ الوهابية عملاءُ ولديهم أغراضٌ سياسيةٌ، ومن ثَمَّ نعتهم بأبشعِ الأوصافِ وأقبحِها ككراهيةِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم وتحريمِ الصلاةِ عليه والمنعِ من ذكرِ اللهِ وبغضِ الأولياء وغير ذلك من الأوصافِ القبيحةِ.



١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٢)

ثانيًا: الجانبُ العلمي والتعليمي:

عَني الصوفيةُ بالعلمِ والتعليمِ وجعلِ هذا السبيلِ طريقًا لنشرِ بدعِهم وخرافاتِهم، ومن أبرز نشاطاتِهم العلمية:

إنشاءُ المؤسساتِ العلمية:

من معاهدَ وكليات وجامعاتٍ شرعيةٍ، والتركيزُ على التأصيلِ العلمي في العلومِ الشرعيةِ، ومن ثمَّ بثُّ الشبهةِ المناقضةِ للتوحيدِ وتأصيلُ العقيدةِ على طريقةِ المتكلمين وأهلِ الأهواء.

ومن أبرزِ الأمثلةِ على ذلك كليةُ دارِ العلومِ الشرعيةِ بمدينةِ الحديدة، وهاك نبذةٌ موجزةٌ عنها.

بدأَ التأسيسُ الرسميُّ لهذه الكليةِ نهايةَ الثمانينات الميلادية، وتمَّ الافتتاحُ عامَ ١٩٩٢م، وتستقبلُ الكليةُ طلابًا من جميعِ محافظاتِ الجمهوريةِ والدولِ الإسلاميةِ، ويبلغُ عددُهم ثلاثة آلاف طالبٍ وطالبةٍ تقريبًا.

والكليةُ تحتوي على قسمين قسمٍ خاصٍّ بالطلابِ الذكورِ، وتمَّ فتحُ قسمٍ خاصٍّ بالطالباتِ النساءِ ويماثلن فيه الذكورَ في المنهجِ الدراسي وشهاداتِ التخرجِ، ويدرسُ الطلابُ في كليةِ العلومِ الشرعيةِ خلالَ سبعِ سنوات، حيثُ يدرسُ الطالبُ أربعَ محاضرات عن كلِّ يومٍ صباحًا، ويبدأُ العامُ الدراسي في أولِ السنةِ الهجرية، وينتهي بالامتحانات في آخر شهرِ شعبان، إضافةً إلى دراسةِ فترةَ ما بين العيدين.

وقدْ تمَّ اعتمادُ شهادةٍ رسميةٍ (ليسنس) في العلومِ الشرعيةِ تحت إشرافِ وزارةِ التعليمِ العالي والبحثِ العلمي، كما تلا ذلك التنسيقُ مع جامعةِ الأزهر بمعادلةِ شهادةِ الكليةِ بالشهادةِ الأزهرية بتاريخ (١٤١٣-١٩٩٢م) بالإضافةِ إلى حصولِ الطلابِ على الإجازةِ المشهورةِ عند العلماءِ والتي يتحصلُ عليها الطالبُ من مشايخِه بعد الانتهاءِ من دراسةِ ما قُرِّرَ عليه[1].

ومن ثمَّ يحقُّ للطالبِ بمقتضى التنسيقِ مع جامعةِ الأزهر مواصلةَ الدراساتِ العليا من الماجستير والدكتوراه في جامعةِ الأزهر أو أي جامعةٍ أخرى.

وأهمُّ الأهدافِ التي قامت عليها الكليةُ:

- تقريرُ التصوفِ وترسيخُ العقائد الصوفيةِ والسلوكِ الصوفي في نفوسِ الطلابِ بما تحملُه من بدعٍ وشركٍ وضلالٍ.

- تأهيلُ طلابٍ ممن رُبُّوا على العقائدِ والبدعِ الصوفيةِ علماءَ وقضاةً ومدرسين وغيرَ ذلك، ومن ثمَّ تولي المناصبَ وأماكنَ التوجيهِ في المجتمعِ، والتأثيرِ فيه بكلِّ وسيلةٍ.

وعليه: فقد أخذتْ كليةُ دارِ العلومِ الشرعيةِ بمدينةِ الحديدة على عاتقِها ما يلي:

-تدريسُ العقيدةِ الأشعريةِ من كتابِ عقيدةِ العوامِّ وشروحِه إلى جوهرةِ التوحيدِ وشروحِه.

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٣)

-العنايةُ بتقريرِ الشُّبَهِ المناقضةِ لتوحيدِ العبادةِ والصفاتِ والاهتمامُ بالكتبِ الشهيرةِ في ذلك.

-تلقي التصوفَ سلوكًا ونسكًا على الطريقةِ الشاذلية.

-محاربةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ (عقيدةً ومنهجًا، علماءَ ومصنفات).

ولعلي في هذا المقامِ أذكرُ لك عدةَ نماذجَ مما صدرَ عن هذه الكليةِ مما يبينُ حقيقةَ معتقدِ أصحابِها ومناهجِهم؛ فمنها:

أ- تحذُيرهم من كتابِ التبيان شرح نواقض الإسلامِ للشيخِ محمد بن عبد الوهاب، والشرحُ للشيخِ سليمان العلوان، وكان مما قالوه: "كان الاطلاعُ على الكتابِ المسمى شرح نواقضِ الإسلامِ فوجدناه مخالفًا لما عليه العلماءُ الأعلامُ، وعليه فنرى توقيفَه عن الطباعةِ؛ لأنه يترتبُ على طباعتِه وتوزيعِه تأثيرٌ على عقيدةِ المسلمين"[١].

ب- حكمُ الاحتفاءِ بذكرى مولدِ الهادي المصطفى صلى اللهُ عليه وسلم، وهي نشرةٌ أصدرَها بعضُ طلابِ جامعةِ دارِ العلومِ الشرعيةِ يقررُ فيها مشروعيةَ الاحتفالِ بالمولدِ النبوي[٢].

ج- فتواهم حولَ كتابِ تفسيرِ العُشْرِ الأخيرِ من القرآنِ الكريمِ من كتابِ

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٤)
٢.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٥)

زبدة التفسير للشيخِ د/ محمد بن سليمان الأشقر، ويليه أحكامٌ تهمُّ المسلمَ، ونظرًا لخطورةِ هذه الفتوى وهي من آخرِ ما أطلعنا عليه مما صدر عنهم حيث أنها مؤرخةٌ بتاريخ ١٢/١١/١٤٢٦هـ فإنني سأوردها كاملةً بحروفِها، وهذا نصُّها:

الأخُ مديرُ أوقافِ المحافظةِ المحترمِ ... وبعد التحية، حسبَ رسالتِكم المصدرةِ إلينا حولَ الإفادةِ عن كتابِ تفسيرِ العُشْرِ الأخيرِ من القرآنِ الكريمِ، فقد تمَّ استعراضُه صحبةَ لجنةِ الإفتاء، والذي توصلوا إليه:

– التجسيمُ في حقّ اللهِ في تفسيرِ بعضِ الآيات، مثل قولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم (٤٢)]. حيث قالَ في تفسيرِها: يكشفُ اللهُ جل جلاله عن ساقِه.

– تفسيرُه كلامَ اللهِ تعالى بالحرفِ والصوتِ، وهذا ممتنعٌ عند علماءِ التوحيدِ.

– إثباتُ النفعِ والتأثيرِ للحي دونَ الميت، وهذا عينُ الشركِ.

– التفريقُ بين أقسامِ التوحيدِ وهو لم يَرِدْ في كتابٍ ولا سنةٍ، وهو قولُه: إنَّ التوحيدَ ينقسمُ إلى توحيدِ ربوبيةٍ وتوحيدِ ألوهيةٍ، يردُّه قولُه تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف (١٧٢)]. كما يردُّه سؤالُ الميتِ في قولِ الملكين: مَنْ ربُّك؟ إذ يلزم على التفريقِ أن الكلَّ غيرُ مسلمٍ.

- قولُه في صفحةِ (٧١ ، ٧٠) كلامًا في التوسلِ يخالفُ فيه سنةَ المصطفى وما عليه السلفُ الصالحُ من أهلِ السنةِ والجماعةِ.

- وأن مشركي قريش أعلمُ بمعنى لا إله إلا الله من كثيرٍ من مسلمي زمانِنا، وهذا ما يشجعُ على التطرفِ والفكرِ الإرهابي، انظر صفحة (٨٠).

كما أن الكتابَ مجهولُ المؤلفِ، هذا ما تبرأُ به الذمةُ، واللهُ الموفق.

لجنةُ الإفتاءِ: الشيخ محمد علي المرعي - الشيخ محمد علي البرعي - محمد عبد الرحيم الوصابي - عبد القادر محمد الأهدل - درويش سليمان وافي - عبده محمد حشيبري - صالح محمد عبده العتمي - محمد محمد إبراهيم المقرني[1].

علمًا أن أعضاءَ لجنةِ الإفتاءِ هم من المدرسين في جامعةِ دارِ العلومِ الشرعيةِ، وهذه الفتيا تبينُ بجلاءَ حقيقةَ عقائدِ القومِ في التوحيدِ والصفاتِ وغيرِها من مسائلِ العقيدةِ.

الاهتمامُ بالزوايا والأربطة:

اهتمتْ الصوفيةُ في الوقتِ الحاضرِ بالزوايا والأربطةِ، وذلك بما يلي:

أ- تشجيعُ ما هو قائمٌ منها كرباطِ أحمد عامر بالزيدية شمال الحديدة.

ب- إقامةُ أربطةٍ جديدةٍ كرباطِ مسجدِ دحمان بالحديدة المدينة، ورباطِ مسجدِ ذهب بالحديدة أيضًا.

---

١. انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٦)

وهذه الأربطة، يتلقى فيها شيئًا من العلومِ الشرعيةِ كالفقهِ المذهبي والفرائض والنحو، مع العنايةِ التامةِ بتلقينِ الطرقِ الصوفيةِ والنسكِ الصوفي والعقيدةِ الأشعريةِ، وتقريرِ ما يضادُّ التوحيدَ والسنةَ من أمورِ الشركِ والبدعةِ.

وسنذكرُ نموذجين للأربطةِ والزوايا من المناطق التي شملَها الاستبيانُ:

الأول: الزيدية، وهي مدينةٌ تقعُ شمالَ الحديدة، ونسبةُ التصوفِ فيها (٨٥٪) ويوجد فيها من الأربطةِ ما يلي:

-رباط أحمد عامر.

-رباط البرهانية الدسوقية الشاذلية بقرية الحشابرة.

-رباط البرهاينة الدسوقية الشاذلية في دير القادري.

-رباطان آخران أيضًا للطريقة البرهانية السالفةِ الذكرِ في كلٍّ من: دير عياش وقرية المحال.

الثاني: زبيد المدينة الشهيرة، وتقع جنوب الحديدة، ونسبةُ التصوفِ فيها (٩٥٪)، ويوجد فيها من الأربطةِ:

١-رباط الأهدل. ٢- رباط البطاح.

٣-رباط علي يوسف. ٤- رباط الأدريسي.

٥-مبرز بني البطاح. ٦- مبرز بني الأنباري.

٧-مترلة الغزالي وهو مقر للطريقة التيجانية. ٨-زاوية التيجانية في قرية محل المبارك بزبيد.

وهذه الأربطةُ لها سكنٌ للطلابِ، ومنها ما فيه إعاشةٌ وتغذيةٌ للطلابِ أيضًا، ويبلغُ إجمالي المبارز والزوايا والأربطة حسبَ الدراسةِ الميدانيةِ ما يزيد على خمسةٍ وثلاثين زاوية ورباط ومبرز.

ومن أشهرِها إضافةً إلى ما سبق ذكرُه مبرزُ التيجاني في الشحارية بالحديدة، ومبرزُ المراغنة في الحوك بالحديدة، ومنزلُ عبد القادر الشاذلي بالجراحي ومبرزُ المحانبة بالتربية، ومنزلةُ المناصيب بيت الفقيه وغيرها كثير.

إقامة الدروسِ العلميةِ في المساجد والمبارز:

ففي مدينةِ الحديدة تُقامُ دروسٌ علميةٌ في مسجدِ كليةِ دارِ العلومِ الشرعيةِ ومسجدِ دحمان وذهب والقرون ومسجدِ محمد عايش وفاطمة البتول والوجيه والشجرة والمرعي والسيد وغيرِها.

وأما المبارزُ ففي مبرزِ التجاني بالشحارية ومبرزِ المراغنة في الحوك.

وفي بيتِ الفقيهِ في الجامعِ الكبيرِ، ومسجدِ النعمي، والوشلي، ودويلان، ومبرزِ عباس زيد، ومبرزِ محمد إبراهيم فقيه.

وفي زبيد مثلًا الجامعُ الكبيرُ ومسجدُ الأشاعر والعلويةِ والفرحانيةِ والأدريسي والشعرة.

وأما المبارزُ: فمبرزُ بني البطاح ومبرزُ الأنباري.

وما ذُكِر ما هو إلا شرائحُ ونماذجُ عن مناطقِ الاستبيان، وإلا فإنَّ جميعَ مناطقِ الاستبيانِ لا تكادُ تخلو من دروسٍ علميةٍ للصوفيةِ في مسجدٍ أو رباطٍ أو مبرزٍ أو أي مكانٍ آخر.

ومن الأنشطةِ العلميةِ للصوفيةِ في تهامة اليمن:

- إرسالُ الطلابِ إلى الجامعاتِ والكلياتِ العلميةِ الصوفيةِ، كدارِ العلومِ الشرعيةِ بالحديدة، أو جامعةِ الأحقاف بحضرموت، أو دارِ المصطفى بتريم وغيرها.

- طباعةُ الردودِ والمصنفاتِ التي تُقَرّرُ التصوفَ وتُشْحَنُ بالشُّبَهِ في الردِّ على عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، ومن ثَمَّ نشرُها وتوزيعُها وبثُّها.

- إقامةُ الدوراتِ العلميةِ الصيفيةِ والمحاضراتِ العامةِ، وغير ذلك من وسائلِ التعليمِ.

واقعُ الصوفيةِ بالإحصائيات والأرقامِ في الجانبِ العلمي:

إليك أخي القارئ واقعُ الصوفيةِ في الجانبِ العلمي والتعليمي بالأرقامِ والإحصائيات والنسبِ المئويةِ:

اتخذَ التدريسُ في مناطق تهامة اليمن والتي شملَها الاستبيانُ عدةَ أشكالٍ وأنماطٍ:

فكانَ منها التدريسُ النظامي بنسبة (١٠٪).

والتدريسُ في المساجدِ بنسبة (٥٢٪).

والتدريسُ في الأربطةِ بنسبة (١٩٪).

والدراسةُ عند الشيوخِ في بيوتِهم ومبارزِهم بنسبة (٦٢٪).

وأما كيفيةُ التدريسِ والتعليمِ فيختلفُ من منطقةٍ لأخرى ومن شيخٍ لآخر:

فمنهم من يقومُ بشرحِ الكتبِ والإلقاءِ على الطلابِ بنسبة (٣٣٪).

ومنها ما تكونُ الدراسةُ بالقراءةِ على الشيخِ بنسبة (٥٢٪).

ومنها ما يكونُ سماعًا من الطالبِ لشيخِه والشيخُ يقرأُ فَحَسْب بنسبة (٤٢٪).

ويبلغُ عددُ المشايخِ والعلماءِ والمناصيب الصوفيةِ في مناطق تهامة اليمن ما يزيدُ على الثمانين ما بينَ شيخٍ وعالمٍ ومنصوبٍ، وأما الطلابُ فتختلفُ أعدادُهم من منطقةٍ لأخرى قلةً وكثرةً، فبعضُ المناطقِ والشيوخِ يصلُ عددُ الطلابِ عندهم العشرةَ من الطلاب، وبعضُها يصلُ إلى ثلاثةِ آلافِ طالبٍ، وتتراوحُ أعمارَ هؤلاء الطلابِ ما بين العشرَ سنوات إلى الأربعين سنة، ويختلفُ مستواهم العلمي من منطقةٍ لأخرى، إلا أن الطابعَ الغالبَ عليهم هو المتوسطُ، وأما الاستمرارُ في طلبِهم للعلمِ فإن نسبةَ من يستمرُّ في طلبِ العلمِ والتحصيلِ العلمي هي

(٣٣٪).

ونشاطُهم العلمي لا يقتصرُ على التدريسِ فقط؛ بل لهم أنشطةٌ علميةٌ أخرى.

- فالتدريسُ تبلغُ نسبتُه (٦٦٪).
- والمحاضراتُ العامةُ تبلغُ نسبتُها (٤٨٪).
- والدوراتُ العلميةُ الصيفيةُ بنسبة (١٩٪).

ولهم إصداراتٌ علميةٌ متنوعةٌ:

- فالكتبُ بنسبة (٩٪).
- والمطوياتُ بنسبة (٥٪).
- والمنشوراتُ بنسبة (١٤٪).

ومن النشرات التي أُعيدَ طبعُها مرارًا نشرةَ (نعم نحتفل)، وأما توزيعُ المنشورات من إصداراتِهم وغيرِها فإن نسبتَها (٣٣٪).

والمساجدُ التي لهم فيها نشاطٌ فتصلُ نسبتُها إلى (٨١٪)، من مجملِ المناطق التي شملَها الاستبيانُ، وكذلك لهم نشاطٌ علميٌّ في بيوتِهم ومبارزِهم - أي: الدواوين التي يجتمعون فيها مساءً -.

فالصوفيةُ أخي القارئ الكريم كما ظهرَ لك لهم نشاطٌ علميٌّ واضحٌ، ويختلفُ المدُّ المذهبيُّ الفقهيُّ للصوفيةِ من منطقةٍ لأخرى، فبطبيعةِ الحالِ الغالبُ على المنطقةِ هو المدُّ المذهبيُّ الشافعي حيثُ تصلُ نسبتُه إلى (٩٠٪).

وأما المدُّ المذهبيُّ الحنفي للصوفيةِ فنسبتُه (١٤٪)، علمًا أن المذهبَ الحنفيَّ لا ينفردُ في منطقةٍ باستقلالٍ بلْ دومًا يجتمعُ مع المذهبِ الشافعي كمنطقةِ الحديدة وزبيد، أو ينفردُ المذهبُ الشافعيُّ دون الحنفي.

المناهجُ الدراسيةُ المعتمدةُ عند الصوفيةِ في منطقةِ تهامة اليمن:

-التفسير: تفسير الجلالين - تفسير البغوي (معالم التنزيل) - روائع البيان.

-العقيدة: عقيدة العوام وشرحها نور الظلام - جوهرة التوحيد وشرحها تحفة المريد — شروح الطحاوية - مسائل أبي الليث السمرقندي.

-الحديث: الأربعين النووية - عمدة الأحكام - بلوغ المرام بشرح سبل السلام - رياض الصالحين - صحيح البخاري بشرح القسطلاني - صحيح مسلم بشرح فتح الملهم على صحيح مسلم.

-الفقه: سفينة النجاة - الزبد - متن أبي شجاع بشرح ابن قاسم الغزي ثم بشرح البيجوري - التحرير - المنهاج للنووي - السراج الوهاج شرح المنهاج.

-أصول الفقه: الورقات - بلوغ السول - اللمع.

-الفرائض: الرحبية وشروحها للمارديني والشنشوري.

-اللغة العربية: الآجرومية وشرحها التحفة السنية وكذا الكفراوي - الكواكب الدرية — ملحة الإعراب - قطر الندى - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.

وغيرها من المقرراتِ الدراسيةِ في المصطلحِ والبلاغةِ والصرفِ والتجويدِ والسيرةِ والمنطقِ.



ثالثًا: الجانبُ الدعوي:

لقدْ عزفتِ الصوفيةُ عن رتابةِ التصوفِ القديمِ وأسلوبِه التقليدي، وانتقلتْ إلى الحركةِ الصوفيةِ العصريةِ وواكبتْ رَكْبَ التقدمِ الحضاري، وإن كانت الصوفيةُ في مناطق تهامة اليمن لم تَفِدْ كثيرًا من الوسائلَ العصريةِ ولم تنتقلْ إلى الصوفيةِ العصريةِ بشكلٍ كبيرٍ، حيثُ أن أغلبَ الصوفيةِ لا تزال متمسكةً بالأسلوبِ القديمِ وذلك بنسبة (٤٣٪).

وأما الذين اتجهوا إلى الأسلوبِ العصري الحديثِ فإنَّ نسبتَهم (١٤٪).

ومن الصوفيةِ مَنْ يجمعُ بين الأمرين وهم بنسبة (٢٤٪)، إلا أنه مع ذلك ينبغي أن لا يُهَوَّنَ من شأنِهم في هذا الجانبِ، فهم يجددون أنشطتَهم ويطورون أساليبَهم مع مرورِ الزمنِ.

ومن خلالِ ما سبقَ يتضحُ لنا جليًّا أن التياراتِ الصوفيةَ في تهامة اليمن تياران:

التيارُ الأولُ: وهو التيارُ القديمُ المحافظُ على التصوفِ في ثوبِه القديمِ وأسلوبِه الرتيبِ، ويغلبُ على هذا التيارِ الفقهاءُ من الصوفيةِ والذين ينظرون إلى التصوفِ المعاصرِ أنه ضربٌ من التغييرِ والمخالفةِ لما كان عليه الفقهاءُ الصوفيةُ الأوائلُ.

التيارُ الثاني: وهو التيارُ العصري أو الصوفيةُ الحديثةُ، وهم الذين يحاولون

الإفادةَ من جميعِ الوسائل الحديثةِ ونشرِ التصوفِ عن طريقِها، والخروجَ عن الأسلوبِ القديمِ الراتبِ، واستغلالَ كلِّ الوسائل والإمكانات التي من شأنِها نشرُ التصوفِ وذيوعُه، ويغلبُ على هذا التيارِ الصوفيةُ الشابةُ، وينقسمُ هذا التيارُ إلى قسمين.

أ) الصوفيةُ العصريةُ التهامية وكبيرُهم محمد علي المرعي - رئيسُ كليةِ دارِ العلومِ الشرعيةِ.

ب) الصوفيةُ العصريةُ الحضرمية، وكبراؤهم عمر بن حفيظ والحبيب الجفري وغيرُهما.

ومما يجملُ ذكرُه هاهنا أن هذه التياراتِ والأقسامَ فيها من الاختلافِ والتنازعِ والتنافسِ والتضادِّ الشيءُ الكثيرُ، والأمرُ كما قالَ المولى سبحانه وتعَالَىٰ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر (١٤)].

وفي هذه الدراسةِ سنكشفُ بإذنِ اللهِ عزَّ وجل عن واقعِ الصوفيةِ المعاصرِ في تهامة اليمن في الجانبِ الدعوي والأنشطةِ التي يقيمونَها لنشرِ مذهبِهم والتمكينِ لعقيدتِهم، فنقولُ وباللهِ التوفيق:

إن نشاطَ الصوفيةِ الدعوي لنشرِ مذهبِهم وطريقتِهم لم يقتصرْ على جانبِ التدريسِ والتعليمِ والإقراءِ فحسب، وإن كان للتدريسِ كما يُقالُ نصيبُ الأسدِ من ذلك حيثُ تبلغُ نسبتُه (٦٦٪) كما أسلفْنا في الجانبِ العلمي.

إلا أن للصوفيةِ أنشطةً دعويةً أخرى لنشرِ عقيدتِهم، حيثُ تصلُ نسبتُها إلى (٥٧٪)، وهذه الأنشطةُ منها ما هو جماعيٌّ يصدرُ عن جماعةٍ، وذلك بنسبة (٢٣٪)، ومنها ما هو فرديٌّ بنسبة (٧٦٪)، ومن الصوفيةِ من هم متقوقعون لا يشتغلون بالدعوةِ إلى طريقتِهم، ونسبتُهم (٦٢) من مجملِ المناطق التي شملَها الاستبيانُ وجرتْ عليها الدراسةُ.

وهذا النشاطُ الدعويُّ منها ما هو مستمرٌّ طوالَ العامِ وذلك بنسبة (٣٨٪)، ومنه ما هو متقطعٌ وذلك بنسبةِ (٥٢٪)، ومنه ما هو موسميٌّ بنسبة (٤٧٪)، ومنه ما يكون في مناسباتٍ خاصةٍ متفرقةٍ، وهذا تبلغُ نسبتُه إلى (٩٠٪) من مجمل المناطق التي شملَها الاستبيانُ.

وهذه الأنشطةُ الدعويةُ تتنوعُ، فمنها المحاضراتُ العامةُ وتصلُ نسبتُها إلى (٤٨٪)، ومنها توزيعُ المنشورات والكتيباتِ وتبلغُ نسبتُها (٣٣٪)، وأما خطبُ الجمعةِ فتبلغُ نسبتُها (٩٠٪) ناهيك عن أنشطةٍ وبرامجَ دعويةٍ أخرى سنذكرُها لاحقًا إن شاءَ اللهُ تعالى.

ومما يحسنُ ذكرُه أنَّ الصوفيةَ لا تقتصرُ في دعوتِها إلى عقيدتِها وطريقتِها على الأماكنَ والمناطقَ الخاصةِ بها؛ بل يتعدى نشاطُهم الدعويُّ إلى أماكن كثيرةٍ عامةٍ منها الجامعاتُ، وذلك بنسبة (٥٪)، والمدارسُ النظاميةُ، وذلك بنسبة (٢٨٪)، وغير ذلك كالمساجد والمبارزِ والأسواقِ وغيرِها.

وأما مدى إفادتِهم من وسائلِ التكنولوجيا الحديثةِ فإنهم لم يفيدوا كثيرًا منها، فالإنترنت والمجالات الإلكترونية بل والمجالات المطبوعة تبلغُ نسبةُ إفادتِهم منها (صفر٪).

وأما الوسائلُ الأخرى فَقُدِّرَ للبعضِ الإفادةُ منها، كالتلفاز والإذاعةِ والصحفِ حيثُ بلغتْ نسبةُ الإفادةِ منها (٥٪) فقط، وسوف نتحدثُ عن الأنشطةِ الدعويةِ للصوفيةِ في تهامة اليمن، كلِّ نشاطٍ على حده:

المساجد:

يحرصُ الصوفيةُ في تهامة اليمن على السيطرةِ على المساجدَ وأن تكونَ تابعةً لهم حرصًا بالغًا، وذلك لعظيمِ أثرِ المسجدِ في نشرِ الدعوةِ من خلالِ الدروسِ والمحاضراتِ وحلقاتِ التحفيظِ وخطبِ الجمعةِ وغيرِ ذلك مما لا يخفى، والجديرُ بالذكرِ أن نسبةَ المساجدَ التابعةِ للصوفيةِ في المناطقِ التي شملَها الاستبيانُ (٨١٪).

وفي مدينةِ الحديدة فقط فإنَّ المساجدَ التي تحتَ نفوذِ الصوفيةِ نسبتُها (٦٠٪) تقريبًا من مساجدِ الحديدة؛ بل توجدُ سلسلةٌ من الأحياءِ مُكَوِّنَةً حلقةٍ مترابطةٍ تبلغُ عشرةَ أحياء وهي: الحوك، وحارة اليمن، وسوق الهنود، والكرنيش، والصديقية، والشحارية، وكوكبان، وباب مشرف، والصبالية، لا يكاد يوجدُ فيها مسجدٌ واحدٌ لأهلِ السنةِ والجماعةِ.

والمساجدُ التي تكونُ تحتَ تسلطِ الصوفيةِ يتمُّ استغلالُها لبثِّ ونشرِ العقيدةِ والسلوكِ الصوفي؛ بتفعيلِ دورِ المسجدِ الدعوي وإقامةِ الأنشطةِ المختلفةِ فيه.

ففي مسجدِ ذهب بمدينةِ الحديدة مثلًا أُقيمَ مركزٌ دعويٌّ وفُرّغَ فيه جهدٌ عظيمٌ وسُخِّرَتْ جميعُ مقدراتِه لإحياءِ الفكرِ الصوفي وترسيخِه في المجتمعِ.

والجديرُ بالذكرِ أن عددَ المساجد التي تقعُ تحتَ تسلطِ الصوفيةِ تزيدُ على الخمسين مسجدًا فيما تمكنَّا من الوقوفِ عليه من خلالِ الدراسةِ الميدانيةِ، والعددُ أضعافُ ذلك بكثيرٍ.

مدارسُ التحفيظِ:

حيثُ أقامَ الصوفيةُ عددًا من مدارسِ التحفيظِ للبنين والبناتِ وتشجيعُ هذه المدارس لما رأوا من إقبالِ الناشئةِ على حفظِ كتابِ اللهِ، وأن هذا من الطرقِ التي من خلالِها يبلغون ما أرادوا من تأصيلِ التصوفِ في نفوسِ وقلوبِ الناشئةِ بنينًا وبنات.

حيثُ تصلُ نسبةُ مدارسِ التحفيظِ في المناطق التي شملتْها الدراسةُ (٤٨٪)، وبعد التتبعِ وجدْنا أن عددَ مدارسِ التحفيظِ التابعةِ للصوفيةِ ما يربو عن اثنين وثلاثين مدرسة، فيها قرابة المائة والست حلقات، ويدرُسُ فيها أكثرُ من أربعةِ آلاف طالبٍ وطالبةٍ.

وكان لمدينةِ الحديدة منها نصيبُ الأسدِ، حيث يوجدُ بها ستة عشر مدرسةِ تحفيظٍ، فيها (٨٣) حلقة، وعدد الطلابِ بها ثلاثةُ آلافٍ وثلاثمائة وخمسين طالبًا وطالبة تقريبًا، موزعة على خمسة عشر مسجدًا من مساجد الحديدة[١].

المكتباتُ العلميةُ:

وهي من المواقع التي من خلالِها يقومُ الصوفيةُ بنشرِ مذهبِهم وعقيدتِهم؛ إما بالقراءةِ العامةِ أو بالبيعِ أو التوزيعِ أو غيرِ ذلك من وسائلِ نشرِ الكتابِ والكتيبِ والنشراتِ المطبوعةِ.

وتبلغُ نسبةُ المكتباتِ العلميةِ الموجودةِ في مناطق تهامة (٦٢٪) من مجملِ مناطق الاستبيان، والمكتباتُ العامةُ نسبتُها (١٤٪) والخاصةُ نسبتُها (٥٧٪) وأما المكاتبُ الصغيرةُ فنسبتُها (٥٪) وأما المكاتبُ التجاريةُ فيوجدْ منها عددٌ لا بأسَ به.

المراكزُ الصيفيةُ:

لجأت الصوفيةُ العصريةُ في تهامة إلى إقامةِ المراكزِ الصيفيةِ من بابِ مواكبةِ العصرِ وموافقةِ التحديثِ والتقدمِ، وأيضًا من بابِ قطعِ الطريقِ على أهلِ السنةِ والجماعةِ لاستقطابِ أكبرِ عددٍ ممكنٍ من جيلِ الشبابِ بالوسائلِ التي يمارسُها أهلُ السنةِ والجماعةِ في الدعوةِ إلى اللهِ عز وجل، فمن هذا المنطلقِ أقامتْ الصوفيةُ

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٧)

في تهامة عددًا من المراكز الصيفيةِ، ففي مدينةِ الحديدة مثلًا أُقيمتْ مراكزُ صيفيةٌ في عددٍ من المساجد كمسجدِ الشجرةِ ومسجدِ دحمان ومسجدِ القرون.

الجميعاتُ الدعويةُ الخيريةُ:

حيثُ أقامتْ الصوفيةُ في الحديدة مؤسسةً دعويةً خيريةً تحتَ اسمِ (مؤسسة دار الخير) يقومُ عليها شخصٌ يُدعى الحبيب سالم وهو من خريجي جامعةِ الأحقاف بحضرموت، وله دورٌ بارزٌ في نشرِ التصوفِ بوسائلَ شتى، حيثُ أنه من الصوفيةِ العصريةِ التابعةِ لحضرموت.

وأبرزُ أعمالِ (دار الخير):

- طباعةُ النشراتِ المؤيدةِ للفكرِ الصوفي، كنشرة (نعم نحتفل)[1].

- إقامةُ المراكز الصيفيةِ، حيثُ أُقيمت بالحديدة أربعةُ مراكزَ صيفيةٍ في أماكنَ مختلفةٍ.

- إقامةُ المسابقات الثقافيةِ والرياضيةِ، وقد أقيمَ أعدادٌ منها بمدينةِ الحديدة.

- التشجيعُ على حفظِ المتونِ في العقائدِ والسلوكِ الصوفي وبعضُها فقهي، والتكريمُ على ذلك.

- توزيعُ العونِ الغذائي وإقامةُ الأنشطةِ الخيريةِ الأخرى، وتمريرُ الأنشطةِ الدعويةِ من خلالِ المساعداتِ المادية.

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٨)

الأنديةُ الرياضيةُ والثقافيةُ:

حيثُ اتجهَ الصوفيةُ إلى طبقةِ الشبابِ ونشطوا نشاطًا كبيرًا في دعواتِهم إلى طريقتِهم ومسلكِهم، ومن الوسائل التي سلكوها ليتحققَ ذلك: إنشاءُ الأنديةِ الرياضيةِ والثقافيةِ والتي تحتضنُ الشبابَ، ومن أبرز هذه الأنديةِ في مدينةِ الحديدة (نادي العلم والإيمان) والذي يقومُ بالعديدِ من الأنشطةِ الرياضيةِ والثقافيةِ والعلميةِ والدعويةِ، وكلها تَصُبُّ في ترسيخِ وتوطيدِ الفكرِ الصوفي في عقولِ الناشئةِ والشبابِ.

وذلك من خلالِ الاعتناءِ بالأنشطةِ المحبوبةِ لدى الشبابِ، كلعبِ كرةِ القدمِ، حيثُ أُقيم دوري في كرةِ القدمِ بشكلٍ قوي وضخمٍ تحت رعايةِ هؤلاء الصوفية.

أنشطةٌ دعويةٌ أخرى:

ثمة أنشطة دعوية أخرى تقومُ بها الصوفيةُ في تهامة، خاصةً في مدينةِ الحديدة، مثل:

-إعدادِ النشراتِ وتوزيعِها، وكذلك إصدارِ المطوياتِ والكتبِ.

-توزيعِ الكتيباتِ والأشرطةِ.

-الدعوةِ العامةِ عن طريقِ مراكزِ الدعوةِ.

-تعليمِ الخطابةِ وإرسالِ الخطباءِ إلى القرى والأريافِ.

-إقامةِ الحفلاتِ والولائم الضخمةِ ودعوةِ الناسِ إليها.

-الانتشارِ الدعوي والحراكِ بالدعوةِ إلى مذهبِهم وطريقتِهم، ولعلي أذكرُ لهذا مثالين:

الأول: مدينةُ ميدي تبعدُ عن الحديدة ما يزيدُ عن (٢٠٠ كم) ويُرْسَلُ إليها كلَّ جمعةِ خطيبًا من كليةِ دارِ العلومِ الشرعيةِ بالحديدة بلْ في مناسباتِ الموالد والأعياد البدعيةِ تُرْسَلُ جماعاتٌ من هذه الكليةِ لإحياءِ ذكرى المولدِ النبوي أو الرجبية والشعبانية.

الثاني: مدينةُ الضحي، وتبعدُ عن الحديدة (٣٠ كم) شمالًا يأتيها في العطلةِ الصيفيةِ جماعةٌ من الصوفيةِ الحضارمة من طلبةِ العلمِ ليقيموا في العطلةِ الصيفيةِ دروسًا ومحاضرات يدعون فيها إلى طريقتِهم وعقيدتِهم ويمكثون قرابةَ الشهرين.

النشاطُ الدعوي النسائي:

لا تقتصرُ الصوفيةُ في نشاطِها الدعوي على استهدافِ الذكورِ؛ بل لهم نشاطٌ دعويٌّ كبيرٌ في الجانبِ النسوي في مختلفِ المناطق تصلُ نسبتُه إلى (٥٧٪).

ويتمثلُ هذا النشاط النسوي في مدارسِ تحفيظِ القرآنِ للبنات وبعضِ التجمعاتِ النسويةِ وبعضِ النشاطات الفرديةِ والتي تقومُ بها كوادرُ نسائيةٌ من فقيهاتٍ ومدرساتٍ ومثقفاتٍ واجتماعياتٍ بل حتى عاميات.

وهذا النشاط يتنوعُ ما بين إقامةِ الموالد على اختلافِها في أوساطهنَّ ومحافلهنَّ

كالمولدِ النبوي والإسراءِ والمعراجِ والنصفِ من شعبان وغيرِها، والدرسِ والقراءةِ في العزاءِ على الأموات، والدرسِ والقراءةِ أو إقامةِ مولدٍ في آخر أيام نفاسِ المرأةِ، ومن أخطرِها حضورُ الزياراتِ الشركيةِ والحضُّ عليها وإخراجُ النساءِ جماعات وفرادى إليها .

ناهيك عن الدعواتِ في الأوساطِ النسائيةِ والتي تتضمنُ التحذيرَ من التوحيدِ ودعاتِه أهلِ السنةِ والجماعةِ، وكذلك إقامةُ المحاضراتِ النسائيةِ في المساجد والمنازل، ومن الأمثلةِ للأنشطةِ الدعويةِ النسائيةِ:

أ) افتتاحُ فرعٍ نسائي لكليةِ دارِ العلومِ الشرعيةِ بالحديدة يماثلن فيه الرجالَ في المنهجِ الدراسي وشهاداتِ التخرجِ.

ب) إقامةُ دورةٍ علميةٍ صيفيةٍ في مدينة زبيد للنساء.

النظرةُ المستقبليةُ للصوفيةِ:

إنَّ للصوفيةِ في تهامة اليمن نظرتَهم وطموحاتِهم المستقبليةَ، وتصلُ نسبةُ من لهم نظرٌ وطموحٌ إلى (٧٦٪) من مجملِ مناطق الاستبيان.

وتتلخصُ آمالُهم وطموحاتُهم المستقبليةُ فيما يلي-:

-إنشاءُ وافتتاحُ الأربطةِ والزوايا العلميةِ.

-تفعيلُ وتطويرُ مراكزِهم الدعويةِ والعلميةِ.

-إحياءُ ما اندثرَ من الزياراتِ الشركيةِ والبدعيةِ.

-التوسعُ في مدارسِ التحفيظِ.

-المزيدُ من السيطرةِ على المساجد.

-محاربةُ دعوةِ التوحيدِ في المنطقةِ بكلِّ الوسائل والحدُ من نفوذِها.

-نشرُ التصوفِ وتقويةُ شوكتِه مع نشرِ الطرقِ الصوفيةِ كالتيجانية مثلًا.

-الحرصُ على تولي المناصبَ كالقضاءِ وإدارةِ المكاتب الحكوميةِ ونحوِها من أماكنِ التأثيرِ في المجتمعِ.



رابعًا: الجانبُ الاجتماعي:

لقد كانَ أثرُ الصوفيةِ في السابقِ محصورًا على طبقةِ كبارِ السنّ والشيوخِ، وأما اليومَ فلقد أصبحَ أثرهمُ الاجتماعي يشملُ جميعَ شرائحِ المجتمعِ من صبيان صغارٍ إلى شيوخٍ كبارٍ خاصةً طبقة الشبابِ من ذكورٍ وإناثٍ، وفي هذا الجانبِ من الدراسةِ سنعرضُ إن شاءَ اللهُ إلى مكانةِ الصوفيةِ في المجتمعِ وعلاقتِهم وتأثرِهم وتأثيرِهم في المجتمعِ، وغيرِ ذلك من القضايا الاجتماعيةِ.

إنَّ للصوفيةِ مكانةً اجتماعيةً كبيرةً في تهامة، حيثُ تشيرُ الدراسةُ والتي شملتْ الغالبيةَ العظمى من مناطق تهامة إلى أن الصوفيةَ الذين يشغلون أعمالًا رسمية في الدولةِ تصل نسبتُهم إلى (٦٧٪) من إجمالي المناطق التي شملتْها الدراسةُ.

- وأما الطبقةُ المثقفةُ منهم فنسبتها (٧٦٪).
- وأما العلماءُ والمشايخُ فنسبتهم (٦٧٪).
- وأما الأعيانُ والوجهاءُ فنسبتهم (٨٦٪).
- وأما الناسُ العاديون فإن نسبتهم (٩٠٪) من مجمل المناطق.
- وأما أثرُهم في المجتمعِ فقد كانَ أثرًا ظاهرًا في (٣٨٪) من مناطق الدراسةِ، ومتوسطًا في (١٩٪) من مناطق الدراسةِ، وضعيفًا في (٤٣٪) من مناطق الدراسةِ.

والفئاتُ التي يستهدفونها بالتأثيرِ فعلى النحو التالي:

- المسئولون بنسبة (٤٨٪).

- الأعيان بنسبة (٤٨٪) أيضًا.

- التجار بنسبة (٦٢٪).

- المثقفون بنسبة (٤٣٪).

- العوام بنسبة (٨١٪) من مجملِ المناطق التي شملتْها الدراسةُ.

وأما علاقتُهم في المجتمعِ فقويةٌ ومتينةٌ ومتنوعةٌ، فنجدُ للصوفيةِ علاقات مع شخصيات بارزةٍ في المجتمعِ في مختلف مناطق تهامة.

فنجدُ لهم علاقاتٌ مع العلماءِ والمشايخ بنسبة (٨١٪) ومع الأعيانِ والوجهاءِ خاصةً رؤساء الدوائرِ الحكوميةِ وشيوخِ القبائل والعقال وغيرهم من الأعيان بنسبة (٧١٪) وتصلُ نسبةُ علاقتِهم مع التجارِ وأصحابِ رءوسِ الأموالِ والذين يُعَدُّون من الداعمين لهم إلى (٤٣٪).

مع أن لهم أيضًا علاقاتٍ بالمناصيبِ البارزين بنسبة (٤٨٪) (والمنصبُ وجمعُه مناصيب: مركزٌ روحيٌّ يتولاه شيخٌ من شيوخِ الصوفيةِ يزعمون أنه ملاذٌ للاعتقادِ ومستترٌ للبركاتِ ومُسْتَمْطِرٌ للرحماتِ)، وهو ما يمثلُ في الوقتِ الراهن: القَيّمُ على القبرِ - السادن للضريح - حالَ حياتِه ويرجعُ إليه الناسُ في حاجاتِهم لجلبِ نفعٍ أو كشفِ ضرٍّ عياذًا باللهِ.

وجميعُ ما ذُكِرَ مرقومٌ في الدراسةِ بالأسماءِ الصريحةِ للعلماءِ والوجهاءِ والمناصيب وغيرهم.

الدعمُ والارتباط:

الصوفيةُ في مناطق تهامة لا يعتمدون على مُقَدَّرَاتهم الذاتيةِ فحسب في دعمِ ما لهم من برامجَ وأنشطةِ.

حيثُ أن الدراسةَ تشيرُ إلى أن (٧١٪) من المناطق تتلقى دعمًا ماديًّا بينما بقية المناطق (١٩٪) لا يوجدُ لها دعمٌ، والمناطقُ التي تتلقى الدعمَ يتنوعُ هذا الدعمُ وتختلفُ صورُه ووسائلُه:

فمن الدعمِ ما يكونُ عن طريقِ التجارِ، وذلك بنسبةِ (٦٢٪)، ومنه عن طريقِ الأوقافِ بنسبة (٢٨٪) وقد يأتي الدعمُ عن طريقِ الصدقاتِ والزكوات وذلك بنسبةِ (٢٨٪)، وبعضُهم يعتمدُ على جمعِ التبرعات وذلك بنسبة (١٤٪)، وقد تكونُ لبعضِ الصوفيةِ في بعض المناطق جمعياتٌ خيريةٌ تصلُ نسبتُها إلى (٥٪)، وثمة وسائل أخرى متعددة غير ما ذُكِرَ تبلغُ نسبتُها (١٤٪).

ومما يجدرُ ذكرُه أنَّ ارتباطَهم ودعمَهم لا يقتصرُ على جهاتٍ داخليةٍ فقط رغمَّ أن ارتباطَهم بالداخلِ بنسبة (٩٠٪) إلا أنَّ لهم ارتباطاتٍ بجهاتٍ خارجيةٍ بنسبة (٢٨٪).

وارتباطُهم الداخلي يتمثلُ بجامعةِ دارِ العلومِ الشرعيةِ بالحديدة وفقهاءِ زبيد وفقهاءِ المراوعة وفقهاءِ بيتِ الفقيه، وكذلك فقهاءِ الزيدية وغيرِهم من علماءِ وفقهاءِ الصوفيةِ بتهامة بالإضافةِ إلى دارِ المصطفى بتريم والتي يرأسُها عمرُ بن

حفيظ وكذلك جامعةِ الأحقاف بحضرموت.

وأما الارتباطُ الخارجي فإنَّ صوفيةَ تهامة يرتبطون بأشخاص ومؤسساتٍ صوفيةٍ في بعضِ الدولِ مثل المملكةِ العربية السعودية في شخصيةِ محمد علوي المالكي سابقًا وغيرِه حاليًا، ومثل الإماراتِ العربيةِ المتحدة وقطر والسودان بأصحابِ الطريقةِ الدسوقية البرهانية الشاذلية وغيرِ ذلك.



خامسًا: الجانبُ السياسي:

يحرصُ الصوفيةُ على تولي زمامِ الأمورِ وتسلمِ المراكزِ القياديةِ في المجتمعِ ومواطنِ التأثيرِ في الناسِ، حيثُ أنَّ نسبةَ المسئولين الحكوميين تبلغُ (٥٢٪) من المناطق التي شملتها الدراسةُ.

وأما أعضاءُ مجلسِ النوابِ فتصلُ نسبتُهم إلى (٣٣٪) وأما القضاةُ فتصلُ نسبتُهم إلى (٢٨٪) من إجمالي المناطق التي شملتْها الدراسةُ.

وأما المأذونُ الشرعي فهذه الوظيفةُ لا تكاد تُعْرَفُ إلا بالصوفيةِ، فقد تصلُ نسبةُ المأذونين (٨٥٪) كلُّهم من الصوفيةِ.

ويحرصُ الصوفيةُ على إدارةِ مكاتبِ الأوقافِ وإدارةِ المراكز التعليميةِ وكتابِ العدلِ وأمناءِ السرِّ في المحاكم، والحرصُ على العضويةِ في المجالسِ المحليةِ، بالإضافةِ إلى التدريسِ في التربيةِ والتعليمِ والإرشادِ والتوجيهِ في التربيةِ والتعليمِ، وغير ذلك من المناصب الرياديةِ في المجتمعِ.



قصصُ وأخبارُ بعضِ الصوفيةِ المعاصرةِ:

عبدُ القادر الشاذلي: شخصيةٌ معروفةٌ في منطقةِ تهامة بمدينةِ الجراحي، خاصةً في يومِ الثالث عشر من شهرِ صفر، حيثُ تقامُ له زيارةٌ كبيرةُ جدًّا رغم أنَّه لا يزال حيًّا، وإذا أردتَ أن تعرفَ شيئًا عن هذا الرجلِ فلنْ تعلم عنه سوى أنَّه كانَ رجلًا فقيرًا جدًّا ينامُ على قارعةِ الطريقِ ويأوي إلى المقابر وغير ذلك من أحوالِ الشطحِ وفِعالِ المجاذيب.

وهكذا كانت حالةُ قبلَ بضعِ عقودٍ من الزمانِ، فلا يراه الناسُ إلا مجنونًا أو معتوهًا ثم لم يفاجأْ الناسُ إلا بهذا الرجلِ الذي كان يُظنُّ به الجنونُ وقد صارتْ له زيارةٌ تُشَدُّ إليه الرحالُ من كلِّ مكانٍ، بل يأتي لزيارتِه شادًّا الرَّحْلَ كبارُ القومِ وعظماؤُهم.

وهذه الزيارةُ من الزياراتِ المقدسةِ عند الصوفيةِ والمعظَّمةِ لديهم، ويجري فيها من الشركِ باللهِ عز وجل ما تَدْمى له قلوبُ الموحدين غيرةً وحسرةً، فيُذبحُ عندها لغيرِ اللهِ عز وجل، وتُقَرَّبُ القرابين ويُستغاثُ بغيرِ اللهِ ربِّ العالمين، ولقد بلغَ الأمرُ ببعضِ القضاةِ من الصوفيةِ - بل وُسِّدَتْ إليه رئاسةُ محكمةِ الحديدة - أنه رأى عبدَ القادر الشاذلي فترلَ عن سيارتِه - أي: القاضي - وأخذَ يحبو حبوًا حتى بلغَ إلى عبدِ القادر الشاذلي عند قدميه من اعتقادِه في هذا النكرةِ المعتوهِ والذي يخرجُ على الناسِ عريانًا في زيارتِه هذه.

فتأمل أين بلغَ التصوفُ بالقومِ وإلى أي هوةٍ سحيقةٍ قذفَ بهم!!

٢- أحمد حسين السوداني: مدرسٌ سوداني قَدِمَ إلى اليمن يُدَرِّسُ مادةَ التربيةِ الإسلاميةِ بمدينةِ القناوص، تَخَرَّجَ مِن قسمِ الإسلاميةِ بجامعةِ هندية، صوفيٌّ على الطريقةِ البرهانيةِ الدسوقية الشاذلية، ابتدأ التدريسَ في مدينةِ القناوص قبلَ ثماني سنواتٍ من يومِنا هذا، ولم يُظهرْ ما يعتقدُه في أولِ أمرِه.

ثم لما تمكَّنَ من بَسْطِ نفوذِه وصارَ ذا مكانةٍ اجتماعيةٍ مرموقةٍ بين الناسِ في تلك المنطقةِ أخذَ يدعو إلى نِحْلَتِهِ وعقيدتِه، واختارَ له داعيًا بين يديه وهو إمامٌ وخطيبٌ لمسجدٍ منْ مساجدِ القناوص، فاستطاعَ أن يُدْخِلَه في طريقتِه الصوفيةِ، ومن ثَمَّ بدأَ ينشرُ مذهبَه وعقيدتَه شيئًا فشيئًا، حتى ظهرت هذه الطريقةُ في المنطقةِ ظهورًا مفزعًا، وصار لها عددٌ من الأربطةِ والزوايا، وآزرَها شيوخُ القبائلِ في المنطقةِ ونفرٌ من تجارِها وعددٌ من مسئولي الأمنِ بها، ومن أوابدِ هذه الطريقةِ أنَّ هذا الداعي إليها أحمد حسين كانَ ينشرُ صورَ صاحبِ الطريقةِ محمد عثمان السوداني، ويأمرُ أتباعَ الطريقةِ أن يستحضروا صورةَ صاحبِ الطريقةِ حالَ الصلاةِ والعياذُ باللهِ.

٣-القاضي أحمد عثمان مطير: عضو المحكمةِ الشرعيةِ الأولى بالحديدة، ومفتي لواءِ الحديدةِ في زمانِه وهو معاصرٌ من أهالي مدينة الحديدة وقد تُوفي.

والمذكورُ من كبارِ الصوفيةِ في عصرِه، وله كتابُ "صواعق الأدلةِ والبراهين على مشروعيةِ التوسلِ إلى اللهِ بالأولياءِ والصالحين"، وكتابُ "الدرة الفريدة في تاريخِ الحديدة"، وسيأتي الكلامُ عليهما في الفصلِ الخامسِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

ذُكِرَ في مناقبِه كما في مقدمةِ كتابِه "الدرة الفريدة" بقلمِ ولده عبدِ الباري مطير قالَ: (قالَ - أي أحمد عثمان مطير -: رأيتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقظةً في سنةِ (١٣٦٥ هـ) وأنا أصلي صلاةَ الظهرِ في جامعِ دحمان الكائنِ قربَ سوقِ الهنود، فلما كنتُ في التشهدِ رأيتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مارًّا من أمامي في موكبٍ من أصحابِه، وعن يمينه أبو بكر الصديق، وعن يساره عمرُ الفاروق، قالَ: فلما كانَ بعد العشاءِ ذهبَ إلى شيخِه للقراءةِ كعادتِه، فقصَّ عليه ذلك، فقالَ له الشيخُ: هذا مقامُ المراقبةِ)[١].



١ .الدرة الفريدة في تاريخ الحديدة ص (١٠)



الفصلُ الرابع: جدولٌ بياني عن الزياراتِ الشركيةِ والبدعيةِ بتهامة اليمن

توطئة: الزياراتُ الشركيةُ البدعية:

تكثرُ في مناطق تهامة اليمن الأضرحةُ والمشاهدُ، وهذه الأضرحةُ منها كبرى ومنها صغرى، وكلما كبرَ البناءُ وذاعَ صيتُ صاحبِ القبرِ زادَ اعتبارُه وقويتْ مكانتُه وكثرَ زواره.

وتُقامُ لهذه المشاهد والقبورِ زياراتٌ موسميةٌ تكونُ في مواعيدَ محددةٍ وخاصةٍ، وهي أشهرُ رجب وشعبان وذي الحجة وصفر وغيرها، وهذه الزيارات يحدثُ فيها من أمورِ الشركِ الأكبرِ والأصغرِ وبدعِ العبادةِ ما هو نقضٌ صريحٌ للتوحيدِ أو نقصٌ في كمالِه الواجبِ، ومن تلك الأمورِ والصورِ ما يلي:

-دعاءُ المقبورِ والاستغاثةُ به وسؤالُه قضاءَ الحوائج وتفريجَ الكرباتِ، بل والإلحاحُ في الدعاءِ والمسألةِ على المقبورين.

-تقديمُ القرابين والنذرَ والذبائحَ للضريحِ من القبوريين، وذلك بِسَوْقِ هذه الأنعامِ من أغنامٍ وأبقارٍ، وغيرِها من النذرِ كالسمنِ والعسلِ، وتقديمِها إلى الولي بزعمِهم، بما في ذلك ذبحُ هذه الأنعامِ تقربًا إلى هذا المقبورِ.

-التبركُ بالقبرِ والتمرغُ بترابِه وتقبيلُه أو أَخْذُ شيءٍ من ترابِ القبرِ وأكلُه أو

جَعْلُه في وعاءٍ للاستشفاءِ به.

–الطوافُ حولَ القبرِ أو السعيُ بين قبرين متقاربين سبعةَ أشواط طوافًا أو سعيًا.

–العكوفُ عند بعضِ الأضرحةِ والقبورِ أيامًا محددةً التماسًا للشفاءِ، أو لقضاءِ حاجةٍ، أو تفريجِ كربةٍ.

–إظهارُ الخشوعِ والسكينةِ والوجلِ والخشيةِ والتأثرِ عند القبرِ والضريحِ، بل يعتقدُ البعضُ في هؤلاء المقبورين من صفاتِ الربوبيةِ ما هو من خصائصِ اللهِ عز وجل من عِلْمِ الغيبِ، والتأثيرِ في الكونِ، وجلبِ النفعِ، ودفعِ الضرّ.

–امتهانُ القبورِ بالمشي عليها ووطئِها بالأقدامِ والقعودِ فوقَها واللعبِ بين جنباتها.

–الغناءُ والرقصُ ودقُّ الطبولِ والاحتفالُ بهذه الزيارات وأيامِها كالاحتفالِ بأيامِ الأعيادِ.

–الاختلاطُ بالنساءِ والخلوةُ بهن وما يتبعُ ذلك من المنكراتِ والفواحش.

– البناءُ على القبورِ وتجصيصُها وتشييدُ القبابِ والغرفِ فوقَها وحواليها.

فهذه أهمُّ المظاهر والممارساتِ المنحرفةِ التي تُقامُ في الزياراتِ الشركيةِ البدعيةِ.

الجداولُ البيانيةُ الموضِّحَةُ للزياراتِ الشركيةِ:

بين يديك أخي القارئ عددًا من الجداولِ توضحُ الزياراتِ الشركيةَ بمنطقةِ تهامة اليمن.

أولًا: مدينةُ الحديدة:

م	الضريح	القرية	المديرية	التاريخ	ملاحظات
١	الشيخ صديق	الحديدة	الحديدة	١٥ شعبان	
٢	الشيخ يونس	الحديدة	الحديدة	عامة	ليست موسمية
٣	السيد الوجيه	الحديدة	الحديدة	عامة	بُني عليه الميناء واندثر
٤	السيد أبكر هبة السلطان	الحديدة	الحديدة	عامة	اندثر القبر ولا أثر له
٥	الشيخ المشرع الأهدل	الحديدة	الحديدة	عامة	اندثر القبر ولا أثر له

٦	الشيخ يحي كوفيه	الحديدة	الحديدة	١٥ ربيع أول	
٧	الشجرة	الحديدة	الحديدة	٢٢ شوال	

ثانيًا: الاتجاه الشرقي لمدينةِ الحديدة:

وهي المناطقُ الواقعةُ على الطريقِ الممتدةِ من الحديدة إلى باجل - الطريق الموصلة إلى صنعاء -:

م	الضريح	القرية	المديرية	التاريخ	ملاحظات
١	عبد الرحيم البرعي	النيابة	بُرع	١٢ ربيع أول	ليلة المولد موعد الزيارة
٢	الدرسي	كحل	بُرع	شهر رجب	
٣	الشمسي	دير الخدامى	باجل	شعبان	
٤	القرار	القرار	المراوعة	عامة	ليست موسمية

٥	الخزان	القطيع	المراوعة	١١ ذي الحجة	تستمر يومان
٦	الساكت	القطيع	المراوعة	عامة	ليست موسمية
٧	السيد سليمان	القطيع	المراوعة	عامة	ليست موسمية
٨	الزكري	دير الشراعي	المراوعة	١٥ شعبان	
٩	الأهدل	المراوعة	المراوعة	آخر خميس من شعبان	وتُسمى هذه الزيارة [الحول]
١٠	مقام الجيلاني	المراوعة	المراوعة	عامة	ليست موسمية، ومقام الجيلاني ليس قبره وإنما مأثر للجيلاني
١١	الغبيش	المراوعة	المراوعة	عامة	
١٢	السندي	المراوعة	المراوعة	عامة	يأتيه من يريد حفظ القرآن

ثالثًا: الاتجاه الشمالي لمدينة الحديدة:

وهي المناطق الواقعة على الطريق الممتدة من الحديدة إلى مدينة حرض المتاخمة للحدود السعودية:

م	الضريح	القرية	المديرية	التاريخ	ملاحظات
١	أبو الآذان	منطقة الحصين	حرض	عامة	يقال: إنه مكان لبعض الجن، وهو فجوة في جبل مرتفع محاطة بأحجار ويستمطر به الناس.
٢	رأس عيسى	الجزيرة	حرض	عامة	ليست موسمية.
٣	العراقي	كمران	حرض	١٢ ربيع أول	
٤	عبد الغفار	الحرجة	عبس	عامة	
٥	مناجي	بحيص	عبس	عامة	
٦	أبو الركب	عبس	عبس	عامة	
٧	العاهمي	بني نشر	كعيدنة/حجة	عامة	ومنطقة بني نشر تهامية وتابعة لحجة.

٨	مرشد	بني نشر	كعيدنة/حجة	عامة	
٩	ناقل العرج	بني نشر	كعيدنة/حجة	عامة	العرج: شجر السدر
١٠	أبو الهوامل	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
١١	أبو نيب	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
١٢	الشيخ عمر	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
١٣	السيد مدبرش	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به ويستجار به
١٤	أبو بكر الحكمي	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
١٥	أبو حربة	الواعظات	الزهرة	عامة	أكبر وأعظم ضريح في المنطقة ووقفه ٦٠٠ معاد
١٦	صاحب البرزة	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به

١٧	ساكن الدار	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
١٨	الهادي بن عمر	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
١٩	صاحب الجبل	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
٢٠	المشنفر	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
٢١	بني المساوي	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
٢٢	محمد صغير صاحب الكديشية	الواعظات	الزهرة	عامة	يحلف به
٢٣	المهللة	الواعظات	الزهرة	عامة	
٢٤	قحم الخلاء	الواعظات	الزهرة	عامة	
٢٥	يحي خليل ولي	الواعظات	الزهرة	عامة	
٢٦	بني المهفا	شرق المعترض	الزهرة	عامة	يزوره بني المخابشة (عشر قرى)

٢٧	الزيلعي	اللحية	الزهرة	١٤ شعبان	
٢٨	القادري	اللحية	الزهرة	١٥ شعبان	
٢٩	العلوي	اللحية	الزهرة	١٤ ربيع أول	
٣٠	كبانة	الخوبة	الزهرة	عامة	
٣١	القرن	الخوبة	الزهرة	عامة	
٣٢	المناجي	المناجي	الزهرة	عامة	
٣٣	أبو شملة	الخدور	الزهرة	عامة	
٣٤	السيد الهيج	النعمان	الزهرة	عامة	
٣٥	يحي قحم	دير القحم	القناوص	شهر رجب	يذهب إليه العروسان قبل مبيتهما

٣٦	راعي السلامة	القناوص	القناوص	شهر رجب	توجد شجرة سلام وبجوارها صخرة، وفيها حوض صغير وحجر صغير يطرق به في الحوض ويطلب الزائر حاجته لتقضى.
٣٧	الدهل	الزيدية	الزيدية	عامة	
٣٨	صائم الدهر	الزيدية	الزيدية	عامة	
٣٩	خُريصان	الزيدية	الزيدية	عامة	
٤٠	شويل	الزيدية	الزيدية	عامة	
٤١	ضريح مجهول	قرية الخليل	الزيدية	عامة	
٤٢	ضريح مجهول	الطابية	الزيدية	عامة	
٤٣	أبكر يوسف	المعروفية	الزيدية	عامة	
٤٤	شيخ سَوْد	المعروفية	الزيدية	عامة	



٤٥	البهلولة	المعروفية	الزيدية	عامة	
٤٦	صخرة يستشفى بها	المعروفية	الزيدية	عامة	
٤٧	بلغيث بن جميل	دير عطا	الزيدية		
٤٨	الأهدل	المنيرة	الزيدية		
٤٩	ابن عباس	قرية ابن عباس	الزيدية		
٥٠	أحمر العين	المنيرة	الزيدية		
٥١	أبكر مكين	المعروفية	الزيدية		
٥٢	أبو حديدة	المحال	الزيدية		
٥٣	مقبرة مهبط الصالحين	المحال	الزيدية		
٥٤	الشيخ إبراهيم	المحال	الزيدية		

٥٥	ابن الفقير	المغلاف	الزيدية		
٥٦	صاحب البركة (الغابي)	دير البحري	الزيدية		
٥٧	عبد القادر الجيلاين	الضحى	الضحى	آخر أربعا من رجب	وهذا ليس قبره، بل مأثر له.
٥٩	إسماعيل الحضرمي	الضحى	الضحى	آخر خميس من رجب	ويقال له أبو أربع أي: أن له أربعة عيون من قبل وجهه وقفاه
٦٠	الخامري	الضحى	الضحى	٢٧ رجب	وهذه فرع من زيارة قبر الخامري في حيس.
٦١	العلوي	الضحى/التربة	الضحى	١٥ شعبان	
٦٢	مشرق البابين	التربة	الضحى	١٥ شعبان	يأتيها الزوار من أكثر من ١٣ قرية.

رابعًا: الاتجاه الجنوبي لمدينة الحديدة:

وهي المناطق الواقعة على الطريق الممتدة من الحديدة إلى مدينة تعز:

م	الضريح	القرية	المديرية	التاريخ	ملاحظات
١	الشاذلي	المخا		١٣ صفر	وهي من أكبر المزارات في هذه الاتجاه
٢	الشيخ خاتم	المخا		عام	
٣	العمودي	المخا		عام	
٤	أبو إسماعيل	المخا		عام	
٥	أبو رزيق	المخا		عام	
٦	الجلاب	الحيمة	الخوخة	آخر جمعة من شعبان	وتمتد لمدة ثلاثة أيام، وهي أكبر زيارة في هذا الاتجاه وقد منعت مؤخرًا.
٧	البختيار	الخوخة	الخوخة	في موسم الوزف	الوزف هو السمك الصغير جدًا

٨	مأثر بن علوان	الخوخة	الخوخة	عام	
٩	عرباد	الخوخة	الخوخة	آخر أربعاء من صفر	يضع الناس بيضًا ويأتون بالموز ويقذفونه في البحر ويغتسلون نساء ورجالًا في البحر، يغطس بهم القيم على القبر، ولما مات هذا القيم انتهت الزيارة بحمد الله.
١٠	أدرحمان	الخوخة	الخوخة	جمادي الأولى	
١١	علي بن الغريب	حيس	حيس	رجب	
١٢	أبو زربة	حيس	حيس	شهر جمادي	وهي زيارة كبيرة
١٣	الخامري	حيس	حيس	٢٧ رجب	

١٤	ركيز	حيس	حيس	٨ شعبان	وهي من أكبر المزارات في المنطقة ويقرأ فيها مولدي الميرغني والكردي
١٥	الشريف	حيس	حيس	أول خميس من رجب	
١٦	الشيخ أيوب	حيس	حيس	عام	كانت وانقطعت، ولكن القبر يقصد.
١٧	عمر محمد الطويري	وادي ظمى	حيس	عام	
١٨	الباهوت	حيس	حيس	عام	
١٩	أبو بكر بن حسان	حيس	حيس	١٥ شعبان	وقبره في التحيتا وهذا مأثر.
٢٠	القحم	القلمة	حيس	١٥ شعبان	
٢١	المساوي	الكرتب	الجراحي	١٥ شعبان	

٢٢	عبد القادر الشاذلي	الجراحي	الجراحي	١٣ صفر	وهو لا يزال حيًا، وإذا مات يقام له زيارة في نفس هذا الموعد، ويذهب هو إلى قبر الشاذلي في المخا للزيارة في الموعد.
٢٣	الشيخ عمر	بني عون	الجراحي	عام	
٢٤	الشيخ عثمان صاحب الخطوة	الجراحي	الجراحي	عام	
٢٥	أبو بكر الحداد	زبيد	زبيد	١٧ رجب	
٢٦	طلحة الهتار الخارج	زبيد	زبيد	أول أربعاء من رجب	قبره خارج زبيد، وهو ابن عيسى الهتار صاحب التربية
٢٧	طلحة الهتار الداخلي	زبيد	زبيد	يوم الإثنين بعد زيارة طلحة الهتار الخارجي	قبره داخل مدينة زبيد، وهو ابن محمد عثمان الغزالي الهتار

٢٨	الجبرتية	زبيد	زبيد	أول اربعاء من رجب	
٢٩	الجبرتي	زبيد	زبيد	رجب	
٣٠	الشيخ إبراهيم طلحة	زبيد	زبيد	عام	
٣١	سي حسين	زبيد	زبيد	عام	سي) يعني سيد) بالعامية
٣٢	الملا محمد (مَهَمْد)	زبيد	زبيد	عام	وهي خاصة بطائفة البهرة الإسماعيلية الباطنية الهنود.
٣٣	المشيخ	زبيد	زبيد	اليوم الثاني من زيارة طلحة الهتار الخارج	
٣٤	المرزوق	زبيد	زبيد	عام	
٣٥	الأهدل صاحب الهلجة	زبيد	زبيد	عام	الهلجة نوع من الأشجار المعمرة
٣٦	ابن أفلح				
٣٧	عمر بن رشيد				

٣٨	أحمد الصياد				
٣٩	علي بن المرتضى				
٤٠	أحد بني عقامة				
٤١	الناشري				
٤٢	سي يحيي عنبة				
٤٣	عيسى الهتار	التربية	زبيد	ثاني خميس من رجب	وتستمر ٣ أيام، وهي من أكبر المزارات في المنطقة [منطقة زبيد]
٤٤	المحجب	التربية	زبيد	رابع خميس من رجب	
٤٥	هريرة			ثاني جمعة من رجب	
٤٦	الحبَّاك	التربية	زبيد	بعد زيارة المحجب بأسبوع	

٤٧	طلحة بن حسن	التربية	زبيد	١٦ شعبان	يقيمها بني الغزالي في البلاد
٤٨	حجره	التربية	زبيد	عام	
٤٩	المهدلية	التربية	زبيد	عام	
٥٠	المهيل	التربية	زبيد	عام	
٥١	سيد إبراهيم	التربية	زبيد	عام	
٥٢	مقبرة بني أحمد	التربية	زبيد	عام	
٥٣	أويس القرني	الحمى	زبيد	عام	مأثر
٥٤	دريب	الحمى	زبيد	عام	
٥٥	إبراهيم بن أدهم	الحمى	زبيد	عام	مأثر
٥٦	معاذ بن جبل	وادي زبيد	زبيد	عام	

٥٧	الزين	محل المبارك	زبيد	ثاني جمعة من رجب	
٥٩	أبكر	أبكر الجاح	زبيد	رجب	وقد اندثرت
٦٠	أبناء القليصي [إسماعيل، سليمان، طعام]	عامر الأعلى	زبيد	٢٠ ذي الحجة	
٦١	الهتاري	عامر	زبيد	آخر جمعة من ربيع ثاني	اندثرت والقبر يقصد
٦٢	القليصي	عقبي	زبيد	عام	اندثرت والقبر يقصد
٦٣	الخمسة	الروضة	زبيد	عام	
٦٤	الأهدل	حبيل الموقر	زبيد	١٥ شعبان	اندثرت والقبر يقصد
٦٥	الحضرمي	الموقر	زبيد	٢٧رجب	اندثرت والقبر يقصد
٦٦	السيد أحمد	الشباريق	زبيد		اندثرت تمامًا

٦٧	بني شهاري	محوى القبيح	زبيد		يقال: إنهم ثلاثة وطول الواحد منهم ستة أمتار، ويقصدون
٦٨	سي أحمد مساوى	القُرية	زبيد	١٧ شعبان	
٦٩	بني عثمان السبعة	القحمة	زبيد	رابع جمعة من رجب	
٧٠	القحم	القحمة	زبيد	عام	
٧١	الحندج	بيت الحندج	زبيد	٨ شوال	وهذا المنصوب الذي هو من بيت الولي المقبور، يقصد للحلف بين يديه في المخاصمات ويقال: إنه حمار مدفون وليس إنسانًا، بل البعض يقول: إن المدفون ((ذكر الحمار)).
٧٢	والي البلد	باسات	زبيد	عام	

٧٣	الحكمي	الفاضل الأعلى	زبيد	عام	
٧٤	سي حسين قلي	النوبة القرمة	زبيد	عام	
٧٥	الخيير	الحوطة	زبيد	عام	
٧٦	أبو بكر بن حسان	التحيتا	التحيتا	أول جمعة من شعبان	
٧٨	داود بن الزين	النخل	التحيتا	رجب	
٧٩	المهدلي	المدمن	التحيتا	عام	
٨٠	الضبرة	السويق	التحيتا	بعد انتهاء موسم التمر	
٨١	المعيري	التحيتا	التحيتا	عام	
٨٢	الغانمي	المسلب	التحيتا	عام	
٨٣	الزبيري	التحيتا	التحيتا	عام	

٨٤	مزار الخمسة	المجيلس	التحيتا	بعد انتهاء موسم التمر	
٨٥	أحمد الفاز	الفازة	التحيتا	بعد انتهاء موسم التمر	
٨٦	الشيخ أبكر بن أبي القاسم	المحط	زبيد	عام	اندثرت
٨٧	المشرع	المرة	زبيد	عام	اندثرت
٨٨	السيد أحمد	المخيريف	زبيد	عام	اندثرت
٨٩	أحمد بن موسى عجيل	بيت الفقيه	زبيد	آخر جمعة من رمضان	وتسمى الزيارة بجمعة القضاء؛ لأن من زار قبر ابن عجيل في هذا اليوم وقد أفطر من رمضان أيامًا عمدًا أو بعذر فتجزئ عن القضاء
٩٠	ابن غانم	الجاح	زبيد	آخر خميس من أيام جني التمر	
٩١	الضرير (أمعمي)	بيت الفقيه	بيت الفقيه	في موسم صريب الذرة	الصريب الحصد

٩٢	سمرة الولي عبد القادر الجيلاني	بيت الفقيه	بيت الفقيه	رجب	في حارة الهنود
٩٣	سمرة الغريب	بيت الفقيه	بيت الفقيه	رجب	بقرب مسجد الجنة
٩٤	سمرة الشيخ إسماعيل (سم صُبعة)	بيت الفقيه	بيت الفقيه	رجب	في حارة الحوك بجوار بيت الصباغ
٩٥	سمرة الجنيد	بيت الفقيه	بيت الفقيه	رجب	في حارة الحوك بجوار مسجد الجنيد
٩٦	سمرة المشرع	بيت الفقيه	بيت الفقيه	رجب	حارة الحوك أمام مسجد المشرع
٩٧	سمرة المعروف	بيت الفقيه	بيت الفقيه	رجب	حارة الحوك أمام مسجد المعروف
٩٨	سمرة صاحب الحال	بيت الفقيه	بيت الفقيه	رجب	واسمه أحمد بن محمد المشرع عجيل، ولقب بصاحب الحال؛ لأن دعوته مجابة في الحال.
٩٩	سي مدرم	العمرية	المنصورية	عام	

١٠٠	ابن عثمان	الرد	المنصورية	عام	
١٠١	الشريف	مُنقُم	المنصورية	١٣ ذي الحجة	
١٠٢	الشريف	الجعودية	المنصورية	١٣ ذي الحجة	فرع من زيارة الشريف في منقم، لأن بعض الناس لا يستطيعون الذهاب إليها فجعل هذا فرع له.
١٠٣	الحكمي	عواجه	المنصورية	أول خميس من رجب	وتسمى هاتان الزيارتان بزيارة الشيخين.
١٠٤	البجلي	شجينة	المنصورية	أول أربعاء من رجب	
١٠٥	المقيد [المجيد]	شجينة	المنصورية	عام	وهو مأثر
١٠٦	داود سليمان	دير داود	المنصورية	عام	
١٠٧	البحر	المنصورية	المنصورية	عام	

خامسًا: منطقة الدريهمي غرب الحديدة:

م	الضريح	القرية	المديرية	التاريخ	ملاحظات
١	السيد أحمد	الدريهمي	الدريهمي	١٥ رجب	ويسمى سي أحمد الدحفي
٢	الهادي	الساحل	الدريهمي	عام	
٣	الشيخ يونس	وادي النخيل	الدريهمي	في موسم النخل	



نماذجُ من الزياراتِ الشركيةِ الكبرى:

- **زيارةُ أحمد الجلاب.**

***موقعها:**

تُقامُ على الساحلِ بالحيمة، والحيمة إحدى قرى مديريةِ الخوخة في شمالِها من جهةِ الغربِ بالقربِ من قريةِ الفازّة، والفازّة غربي زبيد.

***تفاصيلُ وطقوسُ الزيارةِ:**

في أواخرِ شعبان تستعدُ القبائلُ (الرعاة) في كلِّ أنحاءِ تهامة وخاصةً المناطق المجاورةَ والقريبة من موقعِ الزيارة: مثل الخوخة، والجرَّاحي، وزبيد، وحيس، يستعدون بقوافلِهم وأهاليهم وكلِّ ما يحتاجون إليه ويتجهون إلى الزيارةِ ويبيتون آخرَ ليلةٍ من شعبان فيأتي الخميسُ وهم موجودون.

عند وصولهم يوزعون ويرقصون وهم يطوفون حولَ القبرِ يبدو عليهم الابتهاجُ هم وأولادُهم وأهلوهم، ثم يخيمون في ذلك الساحلِ الواسعِ وبطريقةٍ عشوائيةٍ، ويستمرُّ الوفودُ إلى آخرِ يومٍ، وهم من أولِ يومٍ يرقصون ويلعبون ويتبادلون الأشعارَ، ويتسابقون على الجمالِ والخيولِ رجالًا ونساءً، والاختلاطُ مسموحٌ، وهم في ذلك غيرُ منظمين.

مثلًا: يطلبُ الشخصُ من أي شخصٍ آخر رجلًا أو امرأةً أن يلاعبَه أو يراقصَه أو يلاعبوه، ولا يمنعُ الرجلُ ابنتَه أو أختَه أو زوجتَه من اللعبِ وغيرِه مع الذكورِ الآخرين أقرباء أو غرباء بزعمِ أن قداسةَ الموقفِ تمنعُ التفكيرَ في السوءِ.

والكلُّ وبشكلٍ عام يذبحون ويطبخون ويتصدقون والضيافةُ حقٌّ عام، وتستمرُّ الطقوسُ في كلِ أوقاتِ الليلِ والنهارِ لا يقطعُها إلا النومُ أو التفرغُ للأكلِ وقضاءِ الحاجةِ.

وإذا كان الخميسُ آخرَ أيامِ شعبان فإنَّ الأيامَ الباقيةَ من الزيارةِ - وهي الخميس والجمعة وصباح السبت - تستمرُّ كما هي ولا تُحْسبُ مِن رمضان!! وعند المغادرة يحزمون أمتعتَهم، وقبلَ الرحيلِ يطوفون على القبرِ ويتمسحون به، وآخر الطقوس الاغتسالُ في البحرِ فجرًا رجالًا ونساءً وأطفالًا، وبعد ذلك ينصرفون إلى مناطقِهم.اهـ[١].

كما أنه يحدثُ في هذه الزيارةِ أن يأتي الزائرُ بنذرِه وذبيحتِه معه - التي يذبحها للولي - فيحملُ الكبشَ على ظهرِه ويقفُ الناسُ صفين فكلٌّ يقطعُ جزءًا من الكبشِ وهو حي، ويطبخون ويأكلون من هذا اللحمِ المنذورِ لغيرِ اللهِ وغيرِ الـمُذَكَّى.

١ .انظر: الزيارات والأولياء في تهامة، تأليف/ عبد الله خادم العمري (ص ٧٨ ،٧٧).

وبعضُ الرعاةِ والفقراءِ المعدمين يأتي عند الولي ويناديه أنه لا يملكُ شيئًا، ولكن يقولُ له: (شهبلك شوب) أي: سيتقربُ إليه بجريٍ وسعيٍ من عند القبرِ إلى مكانٍ ثم يعودُ قربةً للولي، فهذا بعضُ ما يحدثُ في هذه الزيارةِ.

- **زيارةُ ابنِ غانم (الخميسية) بمنطقةِ الجاح.**

***موقعها:**

الجاح تقعُ غربَ مدينة الحسينية على ساحلِ البحرِ الأحمر، وهي تابعةٌ لمديريةِ بيتِ الفقيه، ويشتهر الجاح بكثرةِ النخيلِ وجودةِ تمورِه.

***طقوسُ الزيارةِ:**

تبدأُ التشريقةُ بدقِّ الطبولِ لإعلامِ الناسِ، وذلك قبلَ شروقِ الشمسِ، ويتوافدُ الناسُ إلى ساحةِ (التشريقة) من مختلفِ فئاتِ المجتمعِ في الساحةِ المعدة للعرض، ويحضرُ في هذا الموعدِ محبو الألعابِ الشعبيةِ والرقصِ الشعبي من مختلفِ القرى لإبرازِ مواهبِهم، وكذلك أصحابُ الخيولِ الذين يجيدون ركوبَ الخيلِ، وأصحابُ الهجن - جمال السباق - ويقومون بالسباقِ واستعراضِ مهاراتِهم في ذلك.

وتُنَظَّمُ تلك الألعابُ والرقصاتُ والمسابقاتُ تلقائيًّا في مساحاتٍ مخصصةٍ، ويقومُ جماعاتٌ من الحاضرين لأداءِ الرقصِ الشعبي على نغماتِ الطبولِ والألعابِ الشعبيةِ التهامية.

مثل: الوثبِ الطويلِ، وفي أثناءِ ذلك تُطْلَقُ العياراتُ الناريةُ بمختلفِ الأسلحةِ الخفيفةِ، ثم يذهبُ الزائرون عصرًا إلى قبرِ الولي لزيارتِه والتبركِ بتربةِ قبرِه، ثم يعودون إلى ساحةِ اللعبِ والرقصِ والسباقِ ويفعلون ما كانوا يفعلونه صباحًا، وفي الليلِ تُقامُ سقيفةٌ عند البحرِ، ويسمرُ الناسُ، وتُلقَى القصائدُ والأناشيدُ إلى الصباحِ، كما يشتركُ مع المنشدين بعضُ المغنيين، وفي الفجرِ يذهبون إلى البحرِ للسباحةِ والاستحمامِ تبركًا كما يحدثُ في زيارةِ أحمد الجلاب. اهـ بتصرف[١].

- **زيارةُ قبرِ أحمد بن العجيل (جمعة القضاء).**

***موقعها:**

(كثيب الشوكة) سابقًا، وهي اليومَ حارةٌ من حاراتِ مدينةِ بيتِ الفقيه.

***طقوسُ الزيارةِ:**

تُقامُ هذه الزيارةُ في آخرِ جمعة من شهرِ رمضانَ وتُسمى بـ(جمعة القضاء)، وسُميت بهذا الاسم (جمعة القضاء) لأن الذي يُفطرُ في رمضانَ أيامًا ثم يزورُ قبرَ ابنِ العجيل في آخرِ جمعة من رمضانَ فالزيارةُ تجزئُ عن القضاء!!

ففي هذا اليومِ يذهبُ الناسُ إلى تربةِ قبرِ ابنِ العجيل لصلاةِ الفجرِ في المسجدِ الذي عند قبرِه والتبركِ به والتوسلِ به، وقراءةِ الفاتحةِ وما تيسرَ من القرآنِ، وتوزيعِ الزكاةِ على الفقراءِ المرابطين عند القبرِ، وتُذْبَحُ عنده الذبائحُ[٢].

١.انظر: الزيارات والأولياء لعبد الله خادم العمري (ص ١٥٩).
٢.انظر: الزيارات والأولياء في تهامة لعبد الله خادم العمري (ص ١٣٨-١٣٩) إصدار وزارة الثقافة.

- **(السمرات) وهي نوعٌ من الزيارات:**

وهذه ليست زيارةٌ بمعنى الزياراتِ التي سبق ذكرُها، وإنما سمرات تُقامُ على قبورِ أولياءَ في داخلِ مدينةِ بيتِ الفقيه، وقد تكونُ تلك القبورُ ليست أصليةً وإنما مآثر (مفرده مأثر)، وسببُ إنشائها كما يُروى أن الوليَّ يُنَبِّهُ على أحدِ أحفادِه أو أتباعِه أو مريديه أو محبيه بأن يقومَ بإقامةِ مأثرٍ لقبرِه كما هو الحالُ في مدينةِ بيتِ الفقيه - جنوب مدينة الحديدة (٥٠) كم، حيثُ يوجدُ مأثرٌ لقبرِ عبدِ القادرِ الجيلاني، وتُقام له سمرةٌ كلَّ سنةٍ.

ومثلُ هذه السمراتِ يتمُّ فيها قراءةُ المولدِ النبوي، وبعضٍ من سيرةِ الولي عبدِ القادرِ الجيلاني، وينشدُ فيها بالأناشيدَ الصوفيةِ والمدائحَ النبويةِ، ويقومُ كبارُ القريةِ والذين عليهم نذورٌ للولي بإعدادِ طعامِ العشاءِ وطبخِه بأفضلِ وسيلةِ طبخٍ، ويحضرُ أتباعُ الطريقةِ القادريةِ.

وبعضُهم تأتيهم حالاتُ الجذبِ - وهو أن تقيدَ أرجلَهم قيودٌ معنويةٌ تُعيقُ حركتَهم، ثم يقومُ هؤلاء المقيدون بالمناطحةِ بالرؤوسِ بلا شعورٍ، وبعضُهم ينطحُ رأسَ الآخرِ والبعضُ ينطحُ الجدارَ -، ويقومُ الفقيهُ يقرأُ الموالدَ الخاصةَ بالطريقةِ القاديةِ، ويصلُ بهم الحالُ إلى الذروةِ من الذكرِ وتُسمى (الحضرة).

وهؤلاء الفقهاءُ يُسَمَّون أهلَ الطريقةِ أو أصحابَ الطريقةِ، وذلك عند سماعِ أتباعِ عبدِ القادرِ الجيلاني للمقطع:

(موالي يا موالي يا موالي أبو صالح سيد الرجالِ)

فيقومُ شيخُ هذه الجماعةِ بغمزِهم في أجسادِهم وفكِّ قيودِهم المعنويةِ، وعندما يأتي موعدُ العشاءِ يقومُ شيخُ الطريقةِ باغترافِ الزربيان – الرز المكبوس باللحم – بيدِه دونَ شيءٍ ويُدْخِلُ يدَه في قدرٍ كبيرٍ وهو في أشدِّ غليانِه ويغترفُ اللحمَ من أعماقِ القدرِ دونَ أن يشعرَ بحرارةِ النارِ ولا يتأثرُ بذلك!!

وفي تلك الليلةِ يُطيَّبُ قبرَ الوليّ بأجودِ أنواع الطيوبِ والبخورِ، ويُزَيَّنُ بأعظمِ أنواعِ الزهورِ، ويتزينُ الأطفالُ بزينةِ الأعيادِ، ويتزينُ الشبابُ بأفخرِ الملابس، وكذلك الرجال، وبعد العشاءِ تبدأُ السمرةُ على الأرضِ بالقربِ من قبرِ الولي عبدِ القادر الجيلاني (مأثر)، ويُتَبَرَّكُ بالقبرِ ويُزار، ويُعتقدُ فيه جلبُ الخيرِ ودفعُ الضرِّ وحصولُ البركةِ، والذين يقومون بذلك أهلُ ذلك الحي، وهم من أصولٍ هندية وتُسمى بحارة الهنود.

وهذه السمرة توجدُ على نَسَقِها عدةُ سمرات تُقامُ في مدينة بيتِ الفقيه يصلُ عددُها إلى سبعِ سمرات[1].

١ .انظر: الزيارات والأولياء في تهامة ص (١٤٢-١٤٦).

• زيارةُ الشريف بالدريهمي:

*موقعُها:

قريةُ الدريهمي، وبالتحديد شمال الدريهمي، وهي تقعُ غربَ مدينةِ الحديدة وهي قريبةٌ من ساحلِ البحر الأحمر.

*ويوجد هناك قبران:

الأولُ: قبر الشريفِ ابن أبكر (أبو بكر).

الثاني: قبر الغليسي، ويبعدُ عن القبرِ الأولِ عشرةَ أمتارٍ.

*وزمنها:

ثالثُ أيامِ عيدِ الأضحى ورابع عيد الأضحى، وتستمر يومين، ويُسمى اليومُ الأول العيدَ الكبيرَ واليومُ الثاني يومَ (الجتيمة) أي: اليتيمة، لقلةِ الناسِ بها.

*طقوسُ الزيارة:

يقومُ الزائرون من الرجالِ بالسعي ما بين القبرين (قبرِ الشريف وقبرِ الغليسي) سبعَ مراتٍ ذهابًا وإيابًا، ثم تُدَقُّ الطبولُ وتُعزفُ النايات (القصبة) (المزمار)، وتبدأُ الألعابُ الشعبيةُ المختلفةُ والرقصاتُ المختلفةُ والرقصاتُ الشعبيةُ بجميعِ أنواعِها، ويتمُّ فيها سباقُ الخيلِ والهجنِ، ويحضرُ هواةُ الألعابِ والرقصِ والقصابون وعازفوا الناي - الشبابة - من كلِّ منطقةٍ، ولا يأخذون مكافأةً على ذلك من أحدٍ.

أمَّا بالنسبةِ للنساءِ فهناك إحدى النساءِ تقيمُ في منزلِها (جمل) يعني: نذرًا، له طقوسٌ توضيحُها كما يلي:

تدقُّ الطبولَ من قبلِ عازفاتِ من النساءِ المختصات بذلك، تقوُم هي بالرقصةِ العشوائيةِ العنيفةِ حتى تغيبَ عن وعيها فتأكلُ النارَ والريحان، أي أنها تستحملُ بحضورِ مجموعةٍ من النساءِ والأطفالِ وبعضِ الشبابِ، ويدعون أنها إذا لم تفعلْ ذلك تُصابُ بالمرضِ كما يُصابُ أحدُ أولادِها أو أي من أقاربِها، ويزعمون أيضًا أنه قد يؤدي إلى وفاةِ أحدِهم نتيجةً لامتناعِها عن ذلك حسبَ زعمِهم.

وهناك من النساءِ من يكونُ عليها نذرٌ للولي الشريف فتقومُ بالجمل، وفي هذه الحالةِ تدفعُ مبلغًا من المالِ للطبالِ فيدقُّ لها الطبلَ، وعند ذلك تنطلقُ جريًا من قبرِ الشريفِ ابنِ أبكر إلى قبرِ الغليسي على دقاتِ الطبل[١].

- **زيارةُ الخزان بالقطيع:**

***موقعها:**

مدينةُ القطيع التابعة لمديريةِ المراوعة شرق الحديدة.

***اسم الولي:**

أبو القاسم بن أبي بكر المعمر بن أبي القاسم بن عمر بن علي الأهدل بن عمر بن محمد بن سليمان الحسيني المشهور بخزانة الأسرار أو الخزان.

١.انظر: الزيارات والأولياء في تهامة (١٧٢- ١٧٦).

*طقوس الزيارة:

تقومُ مسيرة موكبِ العبيد ويوضعُ لهم أميرٌ ويُجعل له موكبٌ، ويلبسُ حلةً عسكريةً تركية وعصا تزُخرفُ بالجلدِ والقماشِ، وينطلقُ الموكبُ من شرقِ القطيعِ ويواصلُ الموكبُ العبدي مسيرتَه رقصًا في مصاحبةِ الطبولِ دونَ توقفٍ، والوافدون من العبيدِ يتوافدون على الموكبِ في طريقِهم إلى تربةِ الولي الخزان شمال القطيعِ.

وبعدَ الإفطارِ يذهبُ الموكبُ إلى نقطةِ الانطلاقِ حيثُ يُعملُ حوضٌ به طينٌ وماءٌ يتلطخُ به الراقصون ويتعمدون تلطيخَ من يقتربُ منهم، وكلما مرَّ الموكبُ على بيتٍ يُقبلُ على أميرِ الموكبِ الآباءُ وفي صحبتهم أطفالُهم ويطلبون منه أن يدقَّ لهم على الطبلِ ليرقصَ الطفلُ لينالَ بركةَ الولي الخزان – زعموا – ويقولُ الأبُ باللهجةِ العاميةِ: (عَبِّدْ له) أي: دُقَّ له طبلةً بالرقصِ العبدي.

وبعضُ الناسِ يعطون أميرَ الركبِ خمسين ريالًا ونحو ذلك من المبالغِ حتى ينتهي الموكبُ عند تربةِ الولي الخزان، فيقرءون الفاتحةَ عندَ القبرِ، وتُقامُ مائدةُ الغداءِ في منزلِ منصبِ الخزان (السادن)، وتُعادُ الألعابُ والرقصُ عصرًا، ويزورُ الناسُ القبرَ ويطلبون البركةَ منه ويتوسلون به حتى غروبِ الشمسِ، ثم يختمون بقراءةِ الفاتحةِ، ثم يقومُ الناسُ والزائرون بالسمرةِ حتى الفجرِ.

وهذه الزيارةُ من أكبرِ الزياراتِ المشهورةِ في تهامة ويؤمُّها أناسٌ من مختلفِ مناطق تهامة، وتُقامُ يومَ الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

وتُروى حكايات: أن هناك مجموعةً كبيرةً من العبيدِ قامَ بعتقِهم وتحريرِهم الوليُّ الخزانُ في حياتِه ووهبَهم أرضًا يزرعونَها، وعندما تحرروا وبحَثوا عن معيشتِهم في العملِ بالزراعةِ وغيرِها ويسرَ اللهُ أمرَهم وتزوجوا وتوالدوا وتكاثروا، كانوا يأتون الخزان في حالِ حياتِه كلَّ سنةٍ في نفسِ موعدِ الزيارةِ - ١٢ ذي الحجة - لزيارتِه وتحيتِه ويقيمون الرقصَ واللعبَ المسمى باللعبِ العبدي، وأصبحتْ عادةً جاهليةً، ويحصلُ فيها حفلُ تنكرٍ كما سبق بأن يلبسَ أحدُ العبيدِ لبسَ أميرٍ تركي وبزةً عسكريةً تركية[١].



١.انظر: الزيارات والأولياء في تهامة (١٧٥- ١٨٠).

المنظومةُ الجليةُ في نسفِ الشبهاتِ الشركيةِ والردِّ على الضلالَاتِ الصوفية

نَظْمُ الأستاذِ الفاضلِ/ أحمد محمد حسين مقبول الأهدل

الحمدُ للهِ على الدوامِ ... والفضلُ والشكرُ له الإنعام

وأفضلُ الصلاةِ والسلامِ ... على النبي سيدِ الأنامِ

محمد الهادي إلى الطريقِ ... وصحبِه الكرامِ كالصدّيق

جاءَ بنورِ اللهِ للأنامِ ... مُبيّنًا شريعةَ الإسلام

فلم يمتْ إلا وقد حبانا ... وكلُّ خيرِ فضلِه أرانا

فعاشتْ الأمةُ في الرياض ... وفارقَ الأنامَ وهو راضٍ

عن خيرِ قرنٍ وهم الصحابة ... أدم هطولَ الدمعِ والصبابة

فوافقوا هديَ النبي المصطفى ... وكلُّهم نهجَ نبيه اقتفى

ثم أتتْ من بعد ذاك الفتنُ ... الجهلُ والذلُّ معًا والمحَنُ

ففارقَ الأنامُ هدى السلفِ ... وجاء بعد ذاك شرُّ الخَلفِ

فحسّنوا البدعةَ والقبيحا ... وحاربوا السنةَ والنصيحا

وعظموا كلَّ جهولٍ أشنع ... لا يعرفُ الحقَّ ولا الفقهَ يعي

فخطبَ الناسَ على المنابر ... مباركًا عبادةَ المقابر

وعظَّموه أيما تعظيم وقادَهم بالجهلِ للجحيم
وسبَّ أهلَ الدينِ والتوحيد بكلِّ لفظٍ مقذعٍ بعيد
ومن أرادَ أن يشينَ السنةَ قارعتُه بالسيفِ والأسنة
لأنه ردَّ كتابَ اللهِ ونهجَ طه المصطفى الأواه
ومن أتى ببدعةٍ سخيفة نردُّها بحكمةٍ لطيفة
ومن أتى في إخوتي يؤذينا يسبُّ إخواني يسبُّ الدينا
فلا استراحَ لا ولا استنارَ ولا أراه اللّهُ إلا النارا
لأنه آذى كرامَ الناسِ وخيرةَ الأحبابِ والجُلَّاس
أعني دعاةَ الناسِ للسعادةِ كيما نحوز السبقَ والسيادة
بدعوةٍ فيها كتابُ اللهِ ننقذُ كلِّ غافلٍ أو لاهي
نترعها من قلبِ كل جاحد بكل ما اسطعتَ أخي فجاهِد
ولا تَدَعْ لبدعةٍ مقامًا ونَزِّهِ الملةَ والإسلاما
ولا تَدَعْ طبولَ أهلِ الشرك ودكَّها دكًّا عظيمَ الدكِّ
أعني ضريحَ أحمد العجيلي والحكمي وجارِه البجيلي[١]

١.أحمد بن موسى بن عجيل من فقهاء الشافعية له ترجمة في الطبقات (٢/٢١٥) قبره في قرية تسمى (قرية بن عجيل) وهي على يمين الداخل إلى مدينة بيت الفقيه، وإليه تنسب وقبره يزار وعليه عكفة. ومحمد بن أبي بكر الحكمي كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وكان البجلي فقيهًا يقرأ ويكتب، وقد بلغا درجة التولية والعزل، ويميتان ويحييان ويطيران في الهواء بسيفيهما، هكذا قالوا وورثهما الأهدل، وقبر الحكمي بقرية عواجة شرق شمال مدينة المنصورية من أعمال الحديدة، وأما البجلي فهو محمد بن حسين البجلي سئل عن السماع يعني الغناء وما يكون فيه فقال: (والله ما أسمعها تقول لا إله إلا الله)

والأهدلِ الذي به استغاثوا ... وفي البلادِ أفسدوا وعاثوا[١]

وفي الرباطِ معقلِ النهاري ... وطلحةٍ لديك والهتاري [٢]

وهل سمعتم بابنِ قطرة السماءِ ... خرافةً تجلبُ للقلبِ العمى[٣]

خرافةٌ من بعدها خرافةٌ ... منبعُها في أصله سخافة

والخمس المقام لابن غانم[٤] ... زيارةً تحفلُ بالمآثم

ترابُه يدافع الثعبانَ ... بزعمِهم ويقتلُ الحنشانا

ثم الشريف أين هذا الشرف[٥] ... وكل إثمٍ عنده يُقْتَرَف

كذا الجلاب إن رأيتَه اجتنبْ[٦] ... إياك منه يا أخانا تقترب

انظر طبقات الخواص في مراتب أهل الصدق والإخلاص ص (٢٦٨) وفيه عجائب.

١.الأهدل هو علي بن عمر الأهدل كان إذا علم وزهد ودين ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقبره بالمراوعة مدينة مشهورة، والعامة تقول: (الأهدل الذي عليه الإله دل).

٢.الرباط من بلاد ريمة من أعمال الجبي وفيها قبر النهاري محمد بن عمر النهاري، طلحة بن عيسى بن إقبال الهتار، وقبره بزبيد وقبر والده عيسى بالتربية شرق زبيد، ولهما زيارة كثيرة.

٣.ابن قطرة السما: يزعمون أن جارية كانت تسعى باللبن ليلا فسقطت فيه قطرة من السماء، فشعر سيدها بذلك فقال: "اشربيه فهو بركتك" فحملت فولدت فسموه بابن قطرة السماء، وقبره بجهة القناوص شمال الحديدة يزار وهو المسمى بالشيخ بلغيث بن جميل في قرية بيت عطاء، والناس تقول: بلغيث بن جميل قطرة من قنديل.

٤.الخمس بضم الخاء المعجمة والميم نسبة إلى اليوم الذي تقام في الزيارة وهو يوم الخميس من كل عام في موسم التمر، وابن غانم هو صاحب القبر المزار ويقع على ساحل البحر الأحمر بالجاح، يكثر فيه زراعة النخيل ويقدم له أهل النخل قدرًا معينًا من التمر.

٥.الشريف: يقع في قرية من أعمال الدريهمي تسمى (المنقم) بجوار البحر وزيارته تقام كل سنة في أيام التشريق من عيد الأضحى.

٦.الجلاب في قرية شمال مدينة الخوخة على ساحل البحر الأحمر وزيارته من التاسع والعشرين من شعبان إلى اليوم الثاني من رمضان، ويحصل فيها من الفتن والمنكرات ما الله به عليم ويجتمع فيها

به أعادوا الشركَ والفسادا   شركَ أبي جهل القديمَ عادا
فلو رأيتَ حوله الذبائحَ   والناسَ بين عاكفٍ ونائح
ولو رأيتَ الرقصَ والسباقا   والناسَ مدتْ حولَه الأعناقا
لقلتَ أمر يا له من أمرٍ   سكرٌ يدورُ دون شربِ الخمر
وتنذرُ المرأةُ بالمعانقةِ   وإن شفاها الشيخُ بالمسابقة
كي تظهرَ الأشفاءَ بالسباق   حريةً واسعةَ النطاق
وكلُّ شيطانٍ أتى لينظرا   مُجَمِّلًا ثيابَه معطرا
وربما جاءَها أبوها   وأمُّها تنظرُ أو أخوها
كأنها تقولُ هذا كلُّه   وما اختفى منه غدًا أحله
كقولهم من قبلِ أهلِ الشركِ   فدعْكَ من زخرفِ أهلِ الإفك
وكل من جاءَ به يطوفُ   والقلبُ منه وجلٌ مخوف
وربما جاءوا بكبشٍ حي   تُقطعُ منه قطعٌ للشي
من قبل أن تُقطعَ منه الرقبةُ   هو الحرامُ زيد فيه العقبة
وذاك بالصياحِ قلبي كبدي   منصوبٌ يا مقبور فاشفِ ولدي
هيهات لو يملكُ أن يشفيكا   لقامَ حيذًا لهفًا يسقيكا
وذُبْ من الحزن ومُتْ من الكمدِ   إذا رأيتَ الجمعَ في أرض الجند[1]

الرجال والنساء.

١.الجند: من أعمال تعز به مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه له زيارة مبتدعة تقام أول جمعة من رجب في كل سنة، ويحضرها الناس من كل مكان حتى من خارج اليمن، وتقام الأسواق ويملا المسجد بالرجال والنساء، ويحيي رؤوس الصوفية الطرقية أورادهم الشركية.

حين أتى الوفودُ والزوارُ ... يقدمُها مرعي[١] والهدار
ولابن علوان ضريحٌ يُعبدُ ... ظلمَ به الناسُ على الربِّ اعتدوا[٢]
والعاكفون عند قبرِ الهادي ... من كل صقعٍ حاضرٍ وبادي[٣]
بحضرموت كم يُقامُ الحفل ... من أجلِ هود[٤] فريةً ودجل
قومٌ يحجون لغيرِ اللهِ ... فقبرُهم لبيتِه يضاهي
هذي أمورٌ سنَّها اليهودُ ... ما سنَّها محمدٌ أو هود
كيف وقد نهى عن الإطراءِ ... وعن أصولِ الشركِ والفحشاء
وحذَّرَ الأمةَ من غلوٍّ ... وقالَ إني عبدُ ذي العلو

١.المرعي هو محمد على مرعي شافعي المذهب يعمل على إحياء هذه الخرافات، وما من زيارة إلا وله فيها مشاركة، كذلك الهدار لهم أربطة يربون فيها مريديهم على هذه التراهات السخفية.

٢.أحمد بن علوان: ضريحه بيفرس من بلاد تعز، قال الفقيه زيد الموشكي:

يا عين هذا الصنم الأكبر وذا ابن علوان وذا المنكر
إن النصارى ثلثوا ربهم وألف رب عندنا يذكر.

٣ .الهادي لدين الله يحي بن الحسين بن القاسم الحسني العلوي الرسي، ولد بالمدينة ونزل صعدة سنة (٢٨٣هـ) وحكم ونودي بأمير المؤمنين وتوفي بصعدة ودفن بجامعها، غلت فيه الشيعة كثيرًا، ومما رأيت مكتوبًا على قبره:

بلدي وأرض أحبتي يا حادي ... غرست محبتها بجوف فؤادي
فاقت محاسنها البلاد وزاد من ... أفضالها قبر الإمام الهادي
طوبى لعبد زار مشهد صعدة ... وجلا بنور القلب كل فساد
يدنو ويبتدئ السلام بهيبة ... ويمس ترب الهاشمي وينادي.

٤.زيارة قبر النبي هود أو هو الحج إلى قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم مناسك تبدأ من ليلة السابع والعشرين من رجب، والأيام المحددة هي ثلاثة أيام الثامن والتاسع والعاشر من شعبان لكل يوم طقوس ومناسك ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، وللشيخ أحمد بن حسن المعلم رسالة سماها: (الكشف المبين عن حقيقة القبوريين، زيارة هود وما فيها من البدع والمنكرات).

والناس عن هدي الكتابِ أعرضوا ... وليس فيهم قط من يعترضُ
واليومَ جاء من يقيمُ المولدا ... لكي ينالَ منه حظًّا زائدا
كالديبعي والبرزنجي والعزب[1] ... هذا لأهلِ الفقرِ من كل العرب
والميرغني يقرأهُ الغني[2] ... فهو له أهلٌ به حري
تفاضلٌ يدفعُه الكتابُ ... وكلٌّ من كانت لهم ألباب
فانتبهوا يا سادتي أولي الفطن ... فإنها واللهِ غيٌّ وفتن
ويزعمون أنَّ عند ذكرِهم ... لمولدِ النبي وقت شعرِهم
يحضرُهم[3] نبيُّنا الكريمُ ... وكلُّهم بوجدِه يهيمُ
ثم يقومُ السيدُ الفقيهُ ... يميسُ في بردية أو يتيه
ويستوي بين الأنامِ قائمًا ... مُرَحِّبًا مُبَشِّرًا مُساهما
وينشدون الشعرَ في قدومِه ... وكلُّهم يطلبُ من علومه
سبحان من أرشدَنا وعلما ... وباتِّبَاعنا النبي ألزما

١.لديبعي والبرزنجي والعزب: موالد منسوبة من نثر ونظم تتحدث عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بمزيد من الغلو، وقراءتها في الموالد الصغيرة القليلة الحضور.

٢.الميرغني: نسبة إلى مؤلفه، ويدعي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأنه أمره بكتابة الميرغني، وأن يجعل إحدى قوافيه نونًا، والأخرى هاء بهية، والقارئ للمولد يتخذ عليه أجرًا من الذي دعاه والميرغني في الغالب لا يقرءونه إلا للأغنياء.

٣.عندما يذكر الناظم مولد النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (وولد) يستوون قيامًا معتقدين حضوره الشريف ويرحبون (مرحبًا يالمصطفى يا مسهلا..) (مرحبًا جد الحسيني مرحبًا..... مرحبًا يا نور عني مرحبا) ويسيئون الأدب بتغزلهم بحضرته صلى الله عليه وسلم، وترش العطور ويفوح البخور ويحصل الجذب والكشف والبركة بزعمهم، ولهم عند ذلك أحوال شيطانية من تلبيس إبليس عليهم لجهلهم.

وكم نهانا عن صفاتِ الجهلِ ... لأن أهلَ الجهلِ شرُّ أهل

لذلكم يا قومنا استفيدوا ... من علمِ مولانا به تسودوا

وكم يزيدُ الجهلُ في جراحي ... مما أرى من ساكنِ الجراحي[١]

فيهم خبيثٌ مالُه مثيلٌ ... وكم له قلوبُهم تميل

يعملُ بالسحرِ وبالكهانةِ ... وهو لدى العوام ذو مكانة

لأنه في عرفِهم وليٌّ ... وهو خبيثٌ أمرُه جلي

ويدعمونه ببذلِ المالِ ... والسمعِ والطاعةِ في الأحوال

يدعو إلى الشركِ وينشرُ البدعَ ... فأين من بالحقّ في القومِ صدع

ويعلنُ الميلادَ في شهر صفر ... ويلٌ له إن لم يتُبْ ثم سَقَر[٢]

وليس من أهلِ البلادِ إنما ... جاءَ إليها من بعيدٍ وانتمى

وهؤلاء شرُّهم مفضوح ... والخبثُ من أعمالِهم يفوح

كذلكم قد كان أهلُ الشرِّ ... فيما مضى في الدهر أهلَ ضُر

وارجع إلى التاريخِ في أهلِ البدع ... كم يُظْهِرُون الخيرَ والأصلُ خِدَع

وفي رداع اصدعْ وصِحْ ووَلْوِل ... محذرًا سوءَ صنيعِ العوبل[٣]

١.الجراحي مدينة تقع جنوب زبيد، فيها كاهن ساحر غريب، لا يعرف أصله ولا من أين أتى، يسمى عبد القادر الشاذلي يعظمه دهماء الناس والتجار الجهلاء ومن لا علم له ولا دين من المسئولين.

٢.له قصر كبير لا يفتحه إلا للمولد، ويخصص جزءًا من المائدة للجن، ويدفع الناس إليه الثيران والكباش وتأتيه من كل مكان، ويقيم المولد في ثالث عشر من صفر من كل عام، ويذهب إلى قبر أبي الحسن علي بن عمر الشاذلي بمدينة المخا على ساحل البحر الأحمر للقيام بزيارته.

٣.العوبلي: كاهن ساحر مشهور أمره برداع بمحافظة البيضاء، كان في صغره مهملا من أهله ينام في أحواش البقر والحمير فاتفقت له أحوال شياطينه، وهو ساحر ذاع أمره، يأتيه الغاوون من كل مكان.

وكم يبالغون في ابنِ الزيلعي ... فمن من القومِ لذلكم يعي[١]

وهو أنه كذبٌ وفيه زور ... وهو لديهم ظاهرٌ مشهور

فهو إمامٌ من رجالٍ عشرة ... أكذوبةٌ مفضوحةٌ مشتهرة[٢]

سماهُم النبيُّ لابنِ اليافعي ... اقصرْ فما تعظيمُهم بنافعي[٣]

هذا مع الأمواتِ فاسْمَعْنَها ... أيضًا وفي الأحياءِ شيء منها

فكلُّ قريةٍ لها منصوبٌ[٤] ... وهو مقامٌ قيمٌ مرغوب

ولفظٌ منصوبٌ اشتقاقَ النصبِ ... فاسمعْ فِدَا الإسلامِ أمي وأبي

١.علي بن أبي بكر الزيلعي أبو الحسن قبره جهة اللحية بقرية السلامة.

٢.والعشرة من الأولياء الآتي ذكرهم كالعشرة المبشرين بالجنة إن لم يكونوا أعظم... كما سيأتي، فقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم لليافعي حسب زعمهم ولم يذكر أحدًا من أصحابه كما سيأتي... فيا للعجب.

٣.يذكر صاحب طبقات الخواص في ترجمة عبد الله بن أسعد اليافعي ص (١٧٢) أنه لما حج زار مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وأبى أن يدخل حتى يأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام بعد أربعة عشر يومًا فقال له: يا عبد الله أنا في الدنيا نبيك وفي الآخرة شفيعك، وفي الجنة رفيقك واعلم أن عشرة أنفس من زارهم فقد زارني ومن جفاهم فقد جفاني، فقلت من هم؟ فقال: خمسة من الأحياء وخمسة من الأموات، فقلت من الأحياء؟ قال: الشيخ علي الطوشي صاحب حلي، والشيخ منصور بن جعدار صاحب حرض، ومحمد بن عبد الله المؤذن صاحب منصورة المهجم، والفقيه: علي بن عمر الزيلعي صاحب السلام، والشيخ محمد بن عمر النهاري صاحب برع. (ولما زار اليافعي النهاري أشرف عليه النهاري متبسمًا وقال: مرحبًا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وسأله عن الأموات فسماهم له: أبو الغيث بن جميل، والفقيه: إسماعيل بن عمر النهاري، والفقيه: أحمد بن موسى بن عجيل، والشيخ: محمد بن أبي بكر الحكمي، والفقيه: محمد بن حسين البجلي، والفقيه: إسماعيل الحضرمي. قال اليافعي: فأتيت الأحياء فحدثوني، وأتيت الأموات فحدثوني، قال: ولما رجع إلى المدينة وقف على بابها أربعة عشر يومًا، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: زرت العشرة؟ فقال: نعم.

٤ .المنصوب هو القيم على القبر حال حياته، ويرجع الناس إليه في حاجاتهم كالمرض ونحوه.

كي يُعبدَ المنصوبُ بعد حينٍ ... بالنذرِ والدعاءِ واليمين
هذا وكم قد أحدثوا من بدعٍ ... وكلُّهم لوصلِ ليلى يَدَّعِ
فكلُّ من ماتَ له نذورٌ ... ثلاث أيام بها سرور
نقرأُ كلَّ ليلةٍ باليُمنِ ... نبدأُ مع القرآنِ شُرْبَ البن
ونختم الأيامَ بالذبيحةِ ... محدثةٌ شنيعةٌ قبيحة
وربما تُشَقُّ لكن حتمًا ... كأنما في التركِ منها إثمًا
وهل سمعتْ يا أخي بالرامي[١] ... محلِّ كلِّ مأكلٍ حرام
يأمر بالشركِ وبالعزائم ... وأمرُه جارٍ لدى التهائم
ويدَّعي علمَ الغيوب الشافية ... وقالَ تأتيني بذاك خافية[٢]
أولُ ما يُؤتى به في العرسِ ... ويسمرُ الجميعُ ليلَ أنس
يقومُ فيهم فوقَ ساقٍ وقدم ... إلى الصباحِ دونَ نومٍ أو ألم
إلى الصباحِ ثم الانصرافُ ... وكلُّهم من كشفِه يخاف[٣]
لأنه في زعمِهم يعلمُ ما ... يكونُ سرًّا عنده قد علما
وقد أتى بأنه ما صلَّى ... ولم يَسِرْ قط إلى مصلى[٤]

---

١ . كاهن شاعر للشعر النبطي مدع لعلم الغيب نسبة إلى قبيلة الرمة، واسمه محمد بن أحمد ومن بعده اسمه يحيى، وقد هلكا، واليوم حفيده يقوم مقامهما.

٢. خافية: أي: جنية، صرح بذلك في شعره، والناس يقرون ولا ينفون أن له جنًا، ولهم في ذلك حكايات.

٣. الكشف علم ما يضمره الإنسان أو يعمله في خفاء وهو الغيب، أي: يكشف لهم الغيب"" وعندهم أن الكشف منقبة من مناقب الأولياء والصالحين، ولا شك في أن ادعاء علم الغيب كفر بالله العظيم.

٤ . شهد بذلك من عاصره.

ويسألونه عن السرائقِ وعن خفايا البيت كالبوائق[١]

وعن نزولِ المطرِ المعهودِ متى يكنْ في السهلِ والنجود

فيأمرُ السؤَّال بالذبائح للسادةِ الأكارمِ الجحاجح[٢]

جوابُه بالشعرِ والإلهام يمضي إلى الصباحِ بالتمام

وقد يسمون الجوابَ فتوى ويكتمُ السائلُ إلا نجوى[٣]

فيكشفَ المخبوءَ في الضمائر وكم يَسُرُّ ذاك كلَّ خاسر

يخبرهم ببعضِ أمرِ الغيبِ وهم يصدقون دونَ ريب

وربما يفضحُ أمرَ الزانيةِ في وقتِه أمامَهم علانية

يا قومَنا من جَهْلِكُم أفيقوا فالنارُ والأهوالُ من يُطيق

والحقُّ بادٍ مثلَ نورِ الصبحِ فاتبعْ الحقَّ تَفُزْ بالربح

لو قامَ موسى داعيًا ذَوي الحِجا وباتَ يدعو اللهَ خوفًا والتجا

وباتَ عيسى راكعًا وساجدًا يدعو إله الخلقِ ربًّا واحدًا

وجاءَ داودُ بصوتِه الحسن يقرأُ ما أُنْزِلَ من ربِّ المنن

وأَمَّهُم من بعدِه سيدُ البشر وصاحبُ الملة مِن خيرِ مُضر

وقامَ صفًا خلفَهم ملائكةٌ يبكون من هولِ الأمورِ الشائكة

---

١. الدواهي والمقصود سؤاله عما حدث في بيوتهم من شرور وسرقة وزنا وغيره.

٢.الجحاجح: الأكارم والمقصود بهم هنا الأولياء والمقبورين في الأضرحة.

٣.النجوى الحديث سرًا، فالسائل يدفع مبلغًا من المال في السمر ويفتيه الكاهن على ما في ضميره، فإن أصاب وإلا ضل يضرب من واد ليخبط في آخر وربما يطلب السائل ماله، والسؤال ليس عن دين، فالمسئول أقرب إلى شق وسطيح كاهنا الجاهلية الأولى، وإنما يسأل عن ولده أهو ابنه أم لا، وعن نسبه، وعن ضالته وعن سبب مرضه ونحوه.

ما قامَ عندهم إلى الصباحِ ... إلى القليلِ من ذوي الفلاح

وإن تشأْ حفرًا لبئرٍ فالتزم ... بذبحِ شاةٍ فوقَها حين تَتِم

ومثلها كذلكم في السُكنى ... عند دخولِ البيتِ حين يُبنى

دفعًا لشرِّ ساكنٍ من جِن ... وكي تحسَّ بعدها بالأمن

وفي البيوتِ توجدُ الربيطة[1] ... بقاؤها في عمرِنا شريطة

وإن تمُتْ سيشتري سواها ... حمدًا لمن أبدى لنا غواها

ولا تكنْ إلا بكبشٍ أسود ... من خالفَ الشرطَ فذاك المعتدي

والديكُ ديكٌ أبيض عشاري[2] ... وذاك شرطٌ في البلادِ جاري

وقد تسمى اليومَ بالقرينةِ ... لأنها حريصة أمينة

تحرسنا بكلِّ جهدٍ في كبدٍ ... وتمنعُ الجنَّ وتدفعُ الحسد

وإن تكنْ عن الطعامِ مُعرضًا ... فاذهبْ حثيثًا نحو صاحبِ القضا[3]

وهو الذي أكرمَه الولي ... كرامةً فهو بها شقي

١. الربيطة: وتسمى القرينة في بعض البلاد، ويعتقد فيها أنها تدفع الأذى والجن والموت عن الأولاد وتجلب الرزق والبركة لأهل البيت، وقد يربطون ديكًا أبيض له عرف أحمر.

٢. عشاري: أي أن له عشرة أصابع في كل رجل خلاف المعهود وقد رأيت مثل ذلك.

٣. صاحب القضاء: ليس المقصود الحاكم الشرعي، وإنما العاطل الجاهل يلازم القبر حتى يكرمه الولي بحرفة، أكثر هذه الكرامات تأتيه في نومه أو تصبح عند رأسه، كثعبان أو حدية يطعن بها في بطنه ورأسه، ويخيف العوام ويتكسب منها، أو يكرم بالقضاء فيؤتى له بالمريض فيأخذ قطنة ويضعها في مكان الألم ويبدأ يتمتم بتعاويذ شركية، ويخرج القطنة من على بطن المريض وفيها أثر دم، أو أوراق فيها سحر، وإذا كان المريض بعيدًا أتوه بقطعة من ثيابه.

يبيتُ فوقَه ليالٍ ذي عدد ... يطلبُ منه الغوثَ يطلبُ المدد
يكرمُه بخنجرٍ أو سيف ... أو بالثعابين ودونَ خوف
فيخرجُ الطعامُ من جوفِ البدن ... والسحرُ والعينُ وأنواعُ العفن
ينظفُ المعدةَ من كلِّ أذي ... ويُخْرِجُ الآلامَ منها والقذى
وعندما يبصرُها المريضُ ... وينجحُ التمويهُ والتعريض
ويكبرُ الساحرُ في عينِ الجميعِ ... ويترلونَه مكانةَ الرفيع
والحجبُ للمرءِ عن الجميعِ ... خوفَ ازديادِ المرضِ الشنيع
ويحجبُ المريضَ أنثى أو ولد[1] ... حجبًا شديدًا لا يرى فيه أحد
ولا يراه إنه مكنون ... إلا الوليُّ السيدُ المأمون
يتابعُ المريضَ حتى يُشفى ... وهو لهم خيرٌ من المستشفى
ويمنعونَه من الطعامِ ... إلا الذي أعفاه ذو المقام
ولا يُرى في الصفِّ والجماعةِ ... حتى ولو قامتْ عليه الساعة
وقسَّموا الأمراضَ بين الخلقِ ... لكل نوعٍ سيدٌ منه يقي
فذاك يشفي أثرَ الفجائح ... وذاك للآلامِ والزعازع
حتى الطيورِ والجرادِ والرخم[2] ... لكلِّ نوعٍ سيدٌ ويُحترم

١. الحجب: هو إخفاء المريض ويسمى محجوبًا، ويقال: مكنون، يحجب في مكان مظلم لا تخلص إليه شمس ولا ريح ولا ضوء، ولا يرى حتى السماء، ولا يدخل عليه إلا هو، والقائم في خدمته كأبيه أو أمه، وقد يكون المريض امرأة شابة يخلو بها ولا من نكير ويرى منها ما لا يراه غيره.

٢. لكل مرض أهل بيت مختصون به، فالشبق: وهو داء الكلب له أناس، وأمراض الحلق والخوف لها

تُجبى إليه العائدات في السنة — جاءتْ وإلا فالحروبُ معلنة
طيورُه إليهم تجيءُ — ومن لحربِ الطيرِ يستطيع
قد شوهوا الأئمةَ الأبرارا — بما أتوا من فريةٍ جهارا
وفي البلادِ ما يُسمى بالهجر[١] — إن الخصامَ بين قومٍ اشتجر
وهو بكبشٍ أو بثورٍ أو جمل — يُؤتى به أمام جمعٍ احتفل
أهلَّ واللهِ لغيرِ اللهِ — وكم وكم من جاهلٍ مباهي
وإن تُرِدْ تحديدَ يومَ العرس — ورَمَتْ سعدًا ما به من نَّحس
فقم بكبشٍ واقصدِ المزار — إلى الوالي ضحوةً نهارًا
ويذهبُ الأهلون بالعرائس — من كلِّ غصنٍ ناعمٍ ومائس
حتى الصغار أو بنات الخدر — وكل من تحاكي جمالَ البدر
يحثى الترابَ فوقَ كلِّ راس — وأكلُه ليس به من باس
قبورُنا تُهان أو تُداسُ — متى يبين جرمَها الأكياس
إن لم نقم بالسعي في الزيارةِ — يخشى تقُمْ في دارِنا شرارة
فتنشرُ الأتراحَ[٢] يوم العرس — وكيف ننجوا بعدها من بؤس

أناس، وأمراض شيطانية تأخذ بالأعصاب والمفاصل كالروماتيزم لها أهل يختل قرية على الساحل بجوار الخوخة، والله يقول: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف (٥٤).

١.الهجر: ذبيحة يأتي بها المخطئ من الخصمين إلى صاحبه، وهي بحسب المشكلة، إن كانت بين اثنين كانت كبشًا، أو كانت بين شيخين أو قبيلتين كانت ثورًا أو أكثر، ولابن الأمير الصنعاني رسالة في تحريمها اسمها: مسألة في الذبح على القبور وغيرها ص (٤٣) قام بتحقيقها عقيل المقطري. طبعة مكتبة دار القدس بصنعاء.

٢. الترح: ضد الفرح وهو الحزن والتألم.

من ضاقَ ذرعًا من أخٍ أو جارٍ ... جاءَ إلى مجامعِ الأحجار[١]

ثم شكى من فعلِ ذاك الصاحبِ ... ثم دعا عليه بالمصائب

يؤتى بها من كلِّ قبرٍ بحجر ... ويغرسون فوقَه بعضَ الشجر

وربما بنوا عليها شيئًا ... ليستظلَّ بكرةً وفيئا

يُهدى إليه السمنُ والبخورُ ... وتأتِه الشموعُ والنذور

يقرِّبُون الصنمَ البعيدًا ... لكي يعمَّ خيرُه العبيدًا

وخذ متى جئتَ لكشفِ الكربةِ ... من تحتِ تلك الصخراتِ تربة

بغيةَ كونِها أمورًا ناجحة ... ويقرءون بعد ذاك الفاتحة

لكل قومٍ سيدٌ أو جدٌّ ... لكلِّ قومٍ نسبة وحد

أما الشريفُ فالولي جده ... والعربُ للسيدِ تمضي بعده[٢]

وقد تكونُ الأمُّ ذات سيدٍ ... والأبُ ذا جدٍّ عظيمِ المحتد

يسابقُ الجميعَ في إرضائِه ... يخشى نهوضَ الجدِّ في قضائِه

وإن تُرِدْ أن تعرفَ الحقيقةَ ... في الشرِّ والجرمِ وفي السريقة

فاسأله أن يحلفَ بغيرِ اللهِ ... بالجدِّ والسادةِ أهلِ الجاه

بين يدي المنصوبِ أو في المقبرة ... وتلك في أهلِ القرى مشتهرة

---

١ .ويسمونه جامع المأثر وذلك إذا كان المرء بعيدًا عن الولي فإنه يقوم بأخذ حجر من كل ولي يزوره ويجمع من ذلك مجموعة من الأحجار فيضعها تحت شجرة قريبًا منه وربما بنى عليها شيئًا ثم يقصدها عند حدوث شيء له ويتبرك بها ويستشفي بترابها.

٢.الأشراف وهم السادة المنتسبون إلى علي بن أبي طالب ينسبون إلى أجدادهم والعرب من غير الأشراف لابد لكل قبيلة منهم من سيد يقصدونه ويزورنه ويقولون (غير سيدك ما يفيدك).

لظنِّهم أن الوغَى تشتد سيوفُهم مشهورةٌ تُمَد

وأن ربَّ العرشِ منه يقبلُ يغفرُ للعبدِ إذا ما يجهلُ

ما قدروا العظيمَ حقَّ قدرِه ولم يبالوا في انتهاكِ أمرِه

وعندهم من النجومِ علم يعرفُه الذي لديه فهم

نتيجة في كلِّ عامٍ وسنة تخبرنا بما يكونُ معلنة[1]

فيم الغلامُ ومن ترى سيهلَك ومن يُذاعُ صيتُه ويملك

وصاحبُ الفنجانِ ما الفنجان إن المجيء عنده خُسران

تخسرُ بعد فقدِ ذاك المال دينَك يا من عُدَّ في الرجال

يقول ائيتوني بطفلٍ لم يكَد يبلغُ إلا العشرَ إن زادَ فَسَد

وينظرُ الطفلُ إلى الفنجانِ[2] كيما يرى السارقُ في الأواني

فيفسدُ الأواصرَ المتينة بفريةٍ خسيسةٍ مشينة[3]

والجدبُ إن حلَّ بأرضِ قومي أتوا لهم بسيدٍ في اليوم[4]

١.نتيجة فلكي بيت الفقيه مهدي أمين والآن ولده توزع وتنشر في كل سنة وفيها من الشرك وادعاء علم الغيب ما الله به عليم.

٢.صاحب الفنجان: أحد الكهنة الذين يجدون لدجلهم رواجًا في مجتمعاتنا الجاهلة، وهو غير صاحب الكتاب الذي (يفتش) كشمس المعارف، وإنما بضاعته فنجان ورقي وتعاويذ شركية، ويؤتى بطفل ينظر فيه والبخور من حوله فتريه الجن والشياطين صورة السارق وبيده المسروق.

٣.كم حصل من اتهامات باطلة لبعض أقارب المسروق ثم يظهر خلافه وتظهر السرقة مع غيره ولم يعتبر الخلق.

٤.الجدب: القحط والجفاف وله شخص معروف، ويتوارث أبناؤه من بعده هذا المقام، وهذه الصلاة ليست هي صلاة الاستسقاء المسنونة وإنما هي ركعتان في المكان الذي يخبرونه بموت نفس مظلومة، ويبحث هو عن مكان حصول هذه المظالم من مكان لآخر، ويذبحون في المكان الذي صلى فيه، لترفع

ويخرجون بعدَه وخلفَه — إلى الفلاةِ يتبعون ظلَّه
حتى إذا استوى إلى البيداءِ — قالَ هنا المظلومُ في العراء
ثم يصلي بعد ذاك ينطلق — بحثًا عن المظلومِ في كلِّ الطرق
يقصدُ بالمظلومِ كلَّ من قُتِل — من ولدٍ من الزنا أو في السبل
وكل قاتلٍ لنفسِه عَمَدْ — ردَّ بقتلِه الغيوث والمدد
حتى يصلي الناسُ في مكانِه — ويذبحون الشاةَ من أوانه
حتى الكلاب والحمير والبقر — قد تدفعُ الخيرَ وتحجبُ المطر[١]
والسقطُ من طفلٍ صغيرٍ أو ولد — تدفنُه المرأةُ خوفًا من أحد
وكلُّ عامٍ تجبُ الزيارةُ — إن لم تُقَمْ حَلَّتْ بهم خسارة[٢]

الظليمة الموهومة.

١.يصلي في كل مكان مات فيه إنسان أو دابة أو خنق فيه كلب أو حبست فيه بهيمة أو ضربت حتى ماتت، ولا شك أن هذا حرام وظلم، لكن ما علق على ذلك من ذبح وصلاة مخصوصة من شخص مخصوص واعتقاد أن المطر لا يترل بسبب هذا الظلم حتى يذبح مكانه ويصلي فيه، مما لم يرد به كتاب ولا سنة.

٢.الزيارة في كل عام لسيد البلد من الأموات، يقوم بها المنصوب، أو من يقوم مقامه، وتذبح الذبائح ويأتي الناس ويخرجون بالطبل والزامل والرجال والنساء والأطفال والسباق على الخيل والإبل حتى إذا وصلوا ابتهل المنصوب ودعا صاحب القبر، وربما حصلت له جذبة أو قيدت رجلاه، وجي له بالمرضى والمصروعين حال الكشف والجذب، ويقيم بالعرصة ثلاثًا، وتقام سوق عكاظ ومجنة على ضريح الولي وفوق المقابر، ويتخذونها لقضاء حوائجهم، ويحصل من الفواحش والرقص والاختلاط ما الله به عليم، وفوق هذا كله الشرك وليس بعده ولا فوقه ذنب، وفي الحديث: (لأن يجلس أحدكم على جمرة من نار فتحرق ثيابه فتخلص إلى جسده خير له من أن يجلس على قبر) وعند ابن ماجة عن عقبة مرفوعًا (لأن أمشي على جمرة أوسيف ولأن أخصف نعلي برجلي أحب إلي من أن أمشي على قبر مسلم وما أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق)، والذي لا ولد له يشتري له المنصوب ولدًا من الولي، ويقول له: (رأس برأس)، أي: رأس دابة في كل سنة لهذا الولي مقابل الولد، فالمولود في خطر

يقيمها الناسُ لسيدِ البلد خشيةَ أن يهلكَ مالٌ وولد
من دورِهم إلى القبورِ النائية في بلدةِ الأقوامِ أو في بادية
والطبلُ والخيولُ والألعابُ وفيهم البناتُ والشبابُ
قولوا لنا يا سادتي هل مثلُ ذا من الطبولِ والصياحِ والأذى
في شرعِنا من ربِّنا يجوزُ وكلُّ من قامَ به يفوزُ
أم أنه شرٌّ عظيمٌ مستطر يأثمُ من جاءَ به ومن أَمَر
بل إنه يا قوم شيءٌ مُفترى أضلَ به إبليسُ جَلَّ الورى
زُرْ القبورَ إنما زُرْ بأدب وادعُ لمن شئتَ لأم أو لأب
زُرْ في الصباحِ أو فَزُرْ في الليل وابكِ وقلْ يا حسرتي يا ويلي
غدًا غدًا أصبحُ ممن قد قُبِر ماذا تُرى أعددتُ لليومِ العسر
يا مُضَّجِعًا به نومي طويل يا موطنًا ليس به خليل
يا حفرةً ليس بها أنيس ليس بها خِلٌّ ولا جليس
يا مرقدًا برغم أنفي أرقدُه ويا ترابًا في الثرى أوَسَّدُه
يا غربةً مالي بها من بُدٍّ ومترلًا أنزلُ فيه وحدي
ليس بها شمسٌ ولا هواء وليس فيه مأكلٌ وماء
ليس بها جندٌ ولا رئيس ولا أميرٌ فوقَهم يسوس
قد استوى الصغيرُ والكبيرُ حتى الغنيَّ جارُه الفقير

"وقد رأينا من يصرع إذا تأخر النذر، حتى يؤتى بكبش وتشق أذنه فوق رأس الطفل المصروع ويدار به فيذهب عنه شيطانه.

حتى المريضَ عنده المعافى ... وذو الجمال للبغيضِ وافا

ليس لهم حسنٌ ولا جمال ... ما جاهُهم سلطانُهم ما المال

من صاحبُ الحضرةِ والجلالِ ... إن لم يجئ بصالحِ الأعمال

قد وُكِّلَتْ بضربِهم زبانيةٌ ... تضربُهم بذنبِهم علانية

أفٍّ لسخفِ من بنوا وشادوا ... والقومُ من تحتِ البناءِ بادوا

دعني أنوحُ أيها السعيد ... دعني أبوحُ بالذي أريد

أنا الذي فرَّطَ في المعادِ ... ولم يصخِ حقًّا إلى المنادي

هنا الحياةُ لا تَقُلْ قصوري ... ولا تَسَلْ عن مهنتِي ودُوري

دارٌ ولكن كلها خرابٌ ... حيطانُها سقوفُها تُراب

فيها الملوكُ تبَّع وكِسْرَى ... والناسُ تمشي للقبورِ تترا

قد كنتُ أخشى العيشَ في الظلامِ ... فكيفَ بالدوابِّ والهوام

كم كنتُ أبدو طيبَ الثيابِ ... مُجَمَّلاً مُنَظِّفًا إهابي

أنامُ ملءَ العينِ في سريري ... على فراشٍ طيبٍ وثير

أَبَعْدَ طولِ الدارِ والغناءِ ... وبَعْدَ طيبِ العيشِ والهناء

يدبُّ دودُ الأرضِ في أعضائي ... يا حسرتي إن طالَ بي بلائي

بلْ ليته يخلو من العذابِ ... وليتني أُهدى إلى صوابِ

مضطجعٌ وفي فمِي التراب ... منتظرًا يومًا به الحساب

تساقطَ الشعرُ الذي براسي ... والجلدُ والعينُ مع الأضراس

ما عاد لي حسنٌ ولا بهاءٌ ... ما عادَ لي التدبيرُ والدهاء

ولو رأى حالي أعزُ الناسِ ... من والدٍ أو من أخٍ مواسي

لصاحَ ما هذا الذي أراهُ ... أواه للإنسانِ ما أشقاه

يسعى وينسى ما الذي إليه ... يؤولُ من أمرٍ جرى عليه

ما أتعسَ الإنسانَ في حياتِه ... ما أبأسَ الإنسانَ في مماته

يا ساكرًا بخمرةِ الحياةِ ... افْزَعْ وقُمْ وانهضْ إلى الصلاة

إذا أردتَ أن تعيشَ حرًّا ... وأن تمرَّ بالصراطِ مَرًّا

الخيرُ دانٍ والمُنى مواتي ... والعمرُ فانٍ والمماتُ آتي

لن تنفعَ الأنوالُ والبنونُ ... ولن يفيدَ الشجوُ والشجون

يا ربِّ يا غفور يا رحيم ... يا خالقًا بخلقِه عليم

أرحمُ بي من إخوتي وأمي ... ومن أبي وجيرتي وعمي

يا سادتي يا إخوتي يا صحبي ... يا خيرَ قومٍ بل وخيرَ ركب

بربكم لا تنسوا المسكين ... وادعوا له برحمةٍ يقينًا

قِفُوا على القبرِ ضحى وصلُّوا ... ثم سلوا اللهَ ولا تملوا

هُلُّوا عليَّ الترابَ ثم سيروا ... فإنني اليومَ هنا أسيرُ

أسيرُ ذنبٍ لا أسيرَ حربٍ ... يا ربِّ فرجْ ضيقتي وكربي

فقد أتيتُ اليومَ حتفَ أنف ... للدودِ يرعى من دمي وكَفِّي

احثوا الترابَ اليومَ فوقَ راسي ... فطالما أسرفتُ في النعاس

وطالما نظرتُ للحرامِ ... ولم أبالِ اللهَ في كلامي
وسَلِّمُوني للذي يراني ... وللطريقِ الحقِّ قد هداني
عقيدتي السنةُ والكتابُ ... وما سوى ذاك هو السراب
لا أطلبُ الغيثَ ولا أبغي المددَ ... من غيرِّ ربٍّ واحدٍ فردٍ صمد
ما كنتُ أرتجي سواه ... لم أستغثْ إلا بيا الله
خسرتُ خِبْتُ إن رجوتُ غيرَه ... وإن جحدتُ برَّه وخيرَه
أُوَحِّدُ الرحمنَ في عبادتي ... ولم أنادِ قَطْ يومًا سادتي
لا أقصدُ الضريحَ والقبابًا ... وأكرهُ الضلالَ والسبابًا
أكفرُ بالطاغوتِ واليهودِ ... وبالنصارى أمةِ التلمود
أو مَن بالبعثِ[1] وبالصراطِ ... وبالجزاءِ الحقِّ بالقسطاس
قد عشتُ أُحيي مبدأَ الولاء ... مناديًا في الناسِ بالبراء
محاولًا جَمْعَ شتاتِ أمتي ... منافحًا مجادلًا وبالتي
منا صحًا لأمتي وديني ... مبتدئًا بالنصحِ من يليني
وأهجرُ المبتدعَ الذي جهر ... وعاندَ الملةَ والشرَّ نشر
من غيرِ أخذٍ بحظوظِ نفسي ... ولا لما قدْ كانَ قبلَ الأمس
ولا لسُمعةٍ ولا رياء ... ولا لكي يُقالَ ذا دهاء
محذرًا من شرِّهِ ومكرِهِ ... محتزمًا لسعيه وغدرِهِ
مِنْ غيرِ أن أغلو بشتمٍ أو بسبٍّ ... إذا ذاك واللهِ لمن سوءِ الأدب

---

١. لا يستقيم المعنى إلا بإضافة كلمة (أنكر) مصحح الكتاب.

إذ بعضُهم يظنُّ أنه إذا ... أقذعَ في القولِ سيجتث الأذى

فيُكْثِرُ الجدالَ والتهارشَ ... وتظهرُ البغضاءُ والتحارش

ومن هناك يعظمُ البلاءُ ... وترسخُ البدعةُ والأهواء

واقعُنا هذا فدَعْكَ والفرَى ... واسمعْ إلى القرآنِ واتركْ المِرا

وجاءَنا من قالَ دَعْكَ منها ... أمراضُنا دعْهَا ووَلِّ عنها

وبعضُهم يقولُ بعد حين ... بعدَ قيامِ الدينِ والتمكين

فأي دينٍ يا أخي تُقيمُ ... وأنتَ في أرضِ البَلا تَهِيمُ

والجاهلُ الغويُّ إن نصحتَه ... يقولُ آبائي كما كانوا فهو

ثم تَلَقَّاكَ بطرفٍ حاسر ... مُكَشِّرًا عن نابِه المكابر

محاولًا أن يُظْهِرَ البطولة ... ومعدنَ القوةِ والرجولة

فمثلُ هذا يا أخي اجتنبْه ... إياكَ أن يؤذيك واحذرْ منه

فإنما أتى به إبليسُ ... فحبُّه في قلبِه مغروس

ويستوي في ذلك العوام ... ومُدَّعوا العلمِ وإن تَعَامُوا

فهل لنا من مرشدٍ حكيمٍ ... أو حاذقٍ بدينِه عليم

حتى يزيلَ الشكَّ باليقين ... في أبلغِ الإيجابِ والتبيين

وليتَ شعري ما الذي يعنيه ... إلا بيانَ الحقِّ للنبيه

نعم بيانُ الحقِّ للأنام ... مُبَرِّئًا بذلكم إسلامي

وما عساي إخوتي أقولُ ... وكلُّ حقٍّ قالَه الرسول

وهو التقيُّ السيدُ الإمامُ ... عليه مِن إلهِنا السلامُ
ما غَرَّدَ البلبلُ فوقَ البان ... مُحَرِّكًا بذلكم أشجاني



الفصلُ الخامس: دراسةٌ موجزةٌ عن أهمِّ الكتبِ والإصداراتِ المعتمدةِ لدى الصوفيةِ في تهامةَ اليَمن

نعرضُ في هذا الفصلِ لذكرِ أهمِّ المراجع والإصداراتِ عند الصوفيةِ في تهامة اليمن وهي في الغالبُ على ضربين:

الأول: كتبٌ ومصنفاتٌ في العقائدِ تحوي بدعَ التصوفِ والكلامَ على طريقةِ متأخري الأشاعرة.

الثاني: كتبٌ ومصنفاتٌ في السلوكِ والنسكِ والأورادِ والأذكارِ تحوي من بدعِ العبادةِ ومحدثاتِ النسكِ الشيءَ الكثيرَ.

الضربُ الأولُ: كتبٌ ومصنفاتٌ في العقائد:

من الكتبِ والإصداراتِ المشهورةِ والمتداولةِ عند الصوفيةِ في تهامة اليمن في العقائد والتصوفِ ما يلي:

انتبِه دينُك في خطر:

وهو كتيبٌ صغيرٌ إلا أنه قد انتشرَ انتشارَ النارِ في الهشيم، وقد حوى بين طياتِه من البدعِ والضلالةِ الأمرَ العظيمَ، وهذا الكتيبُ من جمعِ وترتيبِ أبو عبد

الله علوي اليمني، والناشرُ مكتبةُ تريم الحديثة - تريم، حضرموت.

وقد حوى هذا الكتيبُ: إنكارَ تقسيمِ التوحيدِ إلى ربوبيةٍ وألوهيةٍ وأسماءَ وصفاتٍ، وتقريرُه لمنهجِ أهلِ الكلامِ والبدعِ في تعطيلِ صفاتِ اللهِ عز وجل وصرفِها عن معانيها إلى معانٍ باطلةٍ، كما يدعو إلى الاحتفالِ بالمولدِ النبوي وغيرِه من المناسباتِ البدعيةِ كالرجبية والشعبانية.

كذلك الدعوةُ الصريحةُ إلى عبادةِ القبورِ، وتقديسِ الأولياءِ، والاستغاثةِ بهم، ودعائِهم من دونِ اللهِ، وتعظيمِ قبورِهم، وبناءِ المساجد عليها، والتبركِ بآثارِهم، وغيرِ ذلك من أمورِ الشركِ والبدعِ[١].

التحذيرُ من خطرِ التكفير:

لمؤلفِه حسينُ محمد الهدار، وهو معاصرٌ من أهالي مدينةِ البيضاء.

وقد طُبِعَ الكتابُ في مطبعةِ الآفاق بصنعاء، ويقررُ فيه مؤلفُه جوازَ وقوعِ كراماتٍ للأولياءِ بعد موتِهم مما يؤدي إلى التبركِ بهم، كما يُجَوِّزُ الصلاةَ في المساجد التي بها قبورٌ، ويُجَوِّزُ التوسلَ بذواتِ الأنبياءِ والصالحين، ويدعو إلى الاحتفالِ بالمولدِ النبوي، كما يمدحُ الصوفيةَ ويشدِّدُ النكيرَ على دعاةِ التوحيدِ، ويتهمُهم بتكفيرِ المسلمين.

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٩).

مذكرات مستر همفر:

أو ما يُسمى بـ (سيطرة الإنكليز ودعمهم لمحمد بن عبد الوهاب).

ويزعمون فيه أنه مذكراتٌ لرجلٍ يُقالُ له: (همفر) وهو جاسوسٌ بريطاني في البلادِ الإسلاميةِ، وأنه كانَ داعمًا وبقوةٍ للشيخِ الإمامِ محمد بن عبد الوهاب النجدي، وأن هذه المذكراتِ نقلَها إلى العربيةِ "ج.خ." ولا يوجدُ عليه اسمُ دارِ النشرِ ولا للمطبعةِ التي طُبِعَ فيها، وهو من المذكراتِ التي نشطَ الصوفيةُ في توزيعِها ونشرِها.

والكتابُ في مجملِه يقدحُ في دعوةِ الشيخِ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ويدَّعي أنه عميلٌ للإنجليز ضد الإسلامِ والمسلمين، وأن الشيخَ دسيسةٌ إنجليزية لأجلِ الشهرةِ والسيطرةِ على بعضِ مناطق الجزيرةِ العربيةِ، وغيرَ ذلك من أباطيلِهم التي تكشفُ عظيمَ الحقدِ والعداوةِ على الدعوةِ السلفيةِ، دعوةِ التوحيدِ، دعوةِ الشيخِ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهُ اللهُ تعالى[١].

صاروخُ الغارة:

لمؤلفه: عبيد ربه محمد الطاهر يوسف التيجاني المالكي الأشعري. وهذا الإصدارُ لا يُباعُ بل يُوزعُ من قبلِ أصحابِ الطريقةِ التيجانية في زبيد.

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٠).

ومحتوى الكتابِ يقدحُ في دعوةِ الشيخِ الإمام محمد بن عبد الوهاب وفي أتباعِها على منهجِ التوحيدِ، ويصفُ أتباعَ الدعوةِ بالتكفيريين والمفسدين.

صواعقُ الأدلةِ والبراهين على مشروعيةِ التوسلِ إلى اللهِ بالأنبياء والصالحين:

لمؤلفِه القاضي أحمد بن عثمان مطير، عضو المحكمةِ الشرعيةِ الأولى بالحديدة، ومفتي لواءِ الحديدة سابقًا، وهو معاصرٌ من أهالي مدينةِ الحديدة وقد تُوفي.

ومحتوى الكتاب ظاهرٌ من عنوانِه، ومرادُهم بالتوسلِ: الاستغاثة، حيثُ أنهم يخلطون بين الاستغاثةِ والتوسلِ.

وللمذكورِ كتابٌ في تاريخِ الحديدة أسماه "الدرة الفريدة"، يذكرُ فيه الأولياءَ وقبورَهم في مدينةِ الحديدة ويقررُ زيارَتَها، وَشَدَّ الرحالِ إليها، والتوسلَ والتبركَ، كما يحتوي الكتابُ على ذكرِ طرقِ الصوفيةِ بالحديدة ومصادرِها ومقارِّها وغيرِ ذلك[1].

المجموعةُ التوحيدية:

يحتوي الكتابُ على عشرةِ كتبٍ منها في العقيدةِ، ومنها في الأذكارِ والأورادِ، ونَشَرَ الكتابَ مكتبةُ الفكرِ ومركزُ الكتابِ العربي بصنعاء وتعز والحديدة.

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١١).

ومجملُ ما في الكتابِ: رسائلُ تقررُ عقيدةَ الأشاعرةِ، وفي بعضِها شركياتٌ واستغاثاتٌ وبدعٌ وضلالاتٌ.

إجابةُ السائلين في زيارةِ قبورِ الأولياء والصالحين:

لمؤلفه محمد عبد الرحيم الوصابي، وهو معاصرٌ من الحديدة، وقد أقرَّتْه لجنةُ الإفتاءِ بمحافظة الحديدة، وجميعُ أعضائِها مدرسون بكليةِ دارِ العلومِ الشرعيةِ بالحديدة، ومنهم المؤلفُ كذلك.

ومحتوى الكتابِ ظاهرٌ من عنوانِه، فهو يقررُ شَدَّ الرِّحالِ إلى قبورِ الصالحين وإقامةَ الزياراتِ الشركيةِ والبدعيةِ عندها.

الأجوبةُ الغاليةُ في عقيدةِ الفرقةِ الناجية:

لمؤلفه الحبيب زين العابدين العلوي الحسيني.

محتوى الكتاب: يقرِّرُ فيه مؤلفُه مشروعيةَ الذبحِ والنذرِ لغيرِ الله، وغيرَها من أمورِ الشركِ باللهِ، كما يقررُ التبركَ بآثارِ الصالحين وشَدَّ الرحالِ إلى قبورِ الصالحين والتوسلَ بهم والحلفَ والاستغاثةَ بهم، كما يقررُ إمكانيةَ رؤيةِ النبي صلى الله عليه وسلم يقظةً بعد وفاتِه صلى الله عليه وسلم.

التوسلُ بين الكتابِ والسنةِ وأفعال الأمة:

لمؤلفه أبي الزهراء أويس بن عبد الله الحسيني، ويحتوي الكتابُ على تقريراتٍ مخالفةٍ لكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم كجوازِ التوسلِ بالأنبياء والصالحين، والتبركِ بآثارِهم، وشدِّ الرَّحْلِ إلى قبورِهم، ويزعمُ أن مشركي الجاهليةِ ما كفروا إلا باعتقادِهم في الأصنامِ خصائصَ الربوبيةِ.

مصباحُ النجا على منظومةِ توسلٍ ورجاء:

لأبي الحسين عبد الإله بن حسن عبد الله علي عاموه، وهو معاصرٌ من أهالي الحديدة، وأصدرَتْه الهيئةُ العلميةُ برباط أبي بكر الصديق للعلومِ الشرعيةِ بجامعِ دحمان بالحديدة، وهو من الأربطةِ الصوفيةِ الموجودةِ في الوقتِ الحاضرِ بالحديدة.

ويحتوي الكتابُ على توسلاتٍ بالأنبياء والصالحين ويقرِّرُ فيه مشروعيةَ مثل هذا الصنيعِ، وأنه ليس بشركٍ ولا بدعةٍ، والخلافُ فيه فرعي، والقولُ المانعُ قولٌ شاذٌّ[١].

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٢).

مختصرُ شرحِ البردة المسمى (زهرة الوردة على قصيدة البردة للبوصيري):

تلخيصُ وتحقيقُ/ إلياس درسي علي جلال الزبيدي، راجعَه الشيخُ/ أسد حمزة عبد القادر، معاصرٌ من علماءِ زبيد، والشيخُ محمد علي البطاح، معاصرٌ من علماءِ زبيد، وغيرُهما.

ومحتوى الكتابِ هو شرحٌ لقصيدةِ البردة الشهيرة[١].

الزياراتُ والأولياءُ في تهامة:

لمؤلِفه عبد الله خادم العمري، من أهالي بيتِ الفقيهِ وهو معاصرٌ، وقد قامَ بإصدارِ الكتابِ وزارةُ الثقافةِ والسياحةِ بصنعاء، ويحتوي على الدعوةِ إلى الشركِ الأكبرِ واعتقادِ النفعِ والضرّ في قبورِ الصالحين، وجوازِ التبركِ بهم والتوسلِ بهم، وشدِّ الرحالِ إلى قبورِهم، وصرفِ أنواعٍ من العباداتِ للأضرحةِ والقبورِ، كما يدعو إلى إحياءِ ما اندثرَ من زياراتٍ شركيةس، والحفاظِ والإبقاءِ على ما هو قائمٌ من هذه الزياراتِ الشركيةِ، فالكتابُ من الكتبِ التي تدعو صراحةً إلى الشركِ باللهِ عزَّ وجل[٢].

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٣).
٢.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٤).

تبرئةُ الذمة في نصحِ الأمةِ وتذكرةُ أولي الألبابِ للسيرِ إلى الصوابِ:

المؤلفُ الشيخُ/ محمد عثمان عبده البرهاني شيخُ الطريقةِ البرهانيةِ الدسوقية الشاذلية وهو سوداني، وهذا الكتابُ يتداوله أتباعُ الطريقةِ البرهانيةِ الدسوقية الشاذلية في الحديدة والقناوص وغيرِها.

محتوى الكتاب: يحتوي الكتابُ على مشروعيةِ الاستغاثةِ بالأنبياء والصالحين بدعوى التوسلِ بهم ويدعو إلى التبركِ بالأولياء والصالحين وآثارِهم وطلبِ الشفاعةِ منهم، ويزعمُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم دائمُ المشاهدةِ لربِّه حقيقةً ويزعمُ أن الأنبياءَ يتوسلون بالنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، وغيرَ ذلك من أمورِ الشركِ والبدعةِ مما حوته الطائفةُ البرهانيةُ الدسوقية الشاذلية.

تنبيه: قد كُتِبَ على طرة هذا الكتابِ بخطِّ اليدِ (هذا موقوفٌ للزاويةِ البرهانية الدسوقية الشاذلية - بالحديدة - القناوص)[1].

كما أنَّ من الكتبِ المعتمدةِ لدى الصوفيةِ بتهامة اليمن الكتبَ الشهيرةَ في التصوفِ أو العقيدةِ الأشعريةِ ككتابِ: "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي، وكتابِ "الطبقات الكبرى" المُسمى "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار" لأبي المواهب عبد الوهاب الشعراني، وكتابِ "طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص"

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٥).

للشرجي، وكتابِ "جوهرة التوحيد" للقاني وشروحها كـ"تحفة المريد" للبيجوري، وكتابِ "عقيدة العوام" للمروزقي المالكي، وشروحها كـ"جلاء الأفهام لمحمد علوي مالكي وإحياء علوم الدين ونور الظلام.

كما أنَّ هناك عنايةً فائقةً ببعضِ الكتاباتِ العصريةِ التي تدعو إلى التصوفِ أو الأشعريةِ ونشرِها وتوزيعِها، كإصدارات محمد علوي المالكي مثل: "مفاهيم يجب أن تُصَحَّح"، و"جواز الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف"، و"أبواب الفرج"، و"منهج السلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق" وغيرها.

وكإصدارات حسن بن علي السقاف، مثل: "الإغاثة بأدلة الاستغاثة"، و"تنقيح الفهوم العالية بما ثبت وما لم يثبت في حديث الجارية".

وكإصدارات يوسف بن السيد هاشم الرفاعي الكويتي: كـ"الرد المحكم المنيع على منكرات وشبهات ابن منيع"، وقد أُعيدَ طَبْعُ هذا الكتابِ في الحديدة وقرَّضَهُ علماءُ الحديدة، و"نصيحة للإخوان علماء نجد" وغيرهما.

وكإصدارات عمر عبد الله كامل من مثل:

"لا ذرائع لهدم آثار النبوة .. مقالات وردود بين المؤيدين والمعارضين".

و"الذخائر المحمدية لمحمد علوي مالكي بين المؤيدين والمعارضين".

و"كفى تفريقًا للأمةِ باسم السلف .. رد على سفر الحوالي في رسالته نقد منهج الأشاعرة".

و"مبدآن هدامان .. جاهلية المجتمع وهجر المخالف".

و"طريق المساكين إلى مرضاة رب العالمين".

ولقد لَقيَتْ كتبُ هذا الرجلِ رواجًا وقبولًا عند صوفيةِ اليمن وعنوا بتوزيعِها ونشرِها وغير ذلك.



الضربُ الثاني: كتبُ الأذكارِ والأورادِ البدعية:

كما أنه لا يحسنُ بي في هذه الدراسةِ أن لا أشيرَ إلى كتبِ الأذكارِ والأورادِ الصوفيةِ البدعيةِ وهي كثيرةٌ جدًّا، لا كَثَّرَها اللهُ، وفيها من الشركِ والاستغاثةِ بغيرِ اللهِ الشيءُ الكثيرُ؛ ومن أمثلتِها:

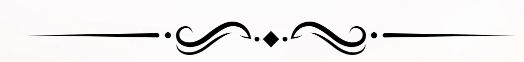
- المنن الإلهية في الصلاةِ والسلام على خيرِ البريةِ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لمؤلفه عبد الرحمن محمد بصعر، معاصرٌ من أهل تهامة.
- النور الجلي في فضائل وفوائد الذكر بالثَّقب الأهدلي، لمؤلِفه/ محمد محمد عبده سليمان الأهدل، معاصرٌ من أهلِ الحديدة، ومما يجدرُ ذكرُه أن صاحبَ الوردِ يزعمُ أن وردَه المذكورَ يصلُ بالمريد إلى رؤيةِ اللهِ عز وجل حقيقةً.
- دلائلُ الخيرات وشوارقُ الأنوار في ذكرِ الصلاةِ على النبي المختارِ صلى اللهُ عليه وسلم، لمؤلِفه/ ابن عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجزولي السملالي الحسني، وكذا مختصرُه/ البدور النيرات لأويس الحسيني.
- خلاصةُ شوارق الأنوار من أدعيةِ السادةِ الأخيار، لمؤلِفه/ محمد بن علوي المالكي.
- راتب البحر الأهدلي، لمؤلفه/ حسن بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، منصبُ المراوعةِ ومفتيها.
- مغيثُ اللهفان في الصلاةِ والسلامِ على سيد الأكوان، لمؤلفه/ أحمد محمد سليمان الأهدل، وهو معاصرٌ.

بالإضافةِ إلى الأورادِ والأذكارِ التي تُقرأُ في الموالد البدعيةِ: كالمولدِ النبوي، والرجبية والشعبانية، وغيرِها مثل:

- مجموعة مولدِ شرف الأنام، ويحوي مولدَ البرزنجي نَظْمًا ونثرًا، وقصيدةَ البردةِ بالإضافةِ إلى أدعيةِ ختمِ القرآنِ.
- مجموع مشتمل على مولِد النبي صلى اللهُ عليه وسلم للبرزنجي والديبعي والعزب.
- مولدُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم الأسرار الربانية، لمؤلفه/ محمد عثمان الميرغني.

هذه نبذةٌ موجزةٌ عن أهمِّ الكتبِ والمصنفاتِ والإصداراتِ التي يعتني بها الصوفيةُ بتهامة اليمن، قراءةً ونشرًا، وتوزيعًا، ويعتمدون ما فيها من الشركِ والبدعِ والخرافةِ.

واللهُ المستعانُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.



الفصلُ السادسُ: وسائلُ مواجهةِ المدِّ الصوفي

إنَّ مما لا شكَّ فيه أنَّ على المنتسبين للعلمِ والدعوةِ واجبًا كبيرًا في صدِّ عاديةِ أهلِ الأهواءِ والبدعِ، ومنهم طائفةُ الصوفيةِ المبتدعةِ وما تحملُه من عقائدِ وأفعالِ الشركِ والبدعةِ والخرافةِ.

وأنه كلما انتشرَ العلمُ وقويَ البلاغُ ونشطَ الدعاةُ إلى اللهِ على بصيرةٍ؛ كُلما قلَّتْ وضَعَفَتْ هذه المظاهرُ، وكلَّما انزجرَ أهلُ الأهواءِ والبدعةِ من صوفيةٍ وغيرِها.

ولهذا وَجَبَ بذلُ الجهدِ واستنفارُ الطاقاتِ العلميةِ والدعويةِ لمواجهةِ هذا المدِّ الصوفي العادي على العقائد والعباداتِ والنسكِ والأخلاقِ والسلوكِ.

وأهمُّ الوسائل التي يُواجَهُ بها التصوفُ والشركُ والخرافةُ والبدعةُ ما يلي:

- العنايةُ الفائقةُ بالتأصيلِ العلمي لأبوابِ التوحيدِ والمعتَقدِ، وتفنيدِ شبهاتِ الصوفيةِ وأباطيلِهم سواءَ أكانت في مصادرِ التلقي أو منهجِ الاستدلالِ.
- بيانُ التوحيدِ وتقريرُ العقيدةِ الصحيحةِ والتحذيرُ من الشركِ وخطرِه والبدعةِ والخرافةِ الصوفيةِ، وذلك من قِبَلِ العلماءِ والدعاةِ في هذه المناطق التهامية، وذلك عن طريقِ الدروسِ العلميةِ والمحاضراتِ العامة وخُطَبِ الجمعةِ والمواعظ الإرشاديةِ.

- استصدارُ الفتاوى الشرعية من العلماءِ الأعلامِ تجاه البدعِ الصوفيةِ: شركيةً كانت أو ضلاليةً، والواجبُ الشرعي في هذه المظاهر والممارسات.
- توزيعُ الكتبِ والكتيباتِ والأشرطةِ والنشراتِ والفتاوى والبياناتِ المتخصصةِ في تفنيدِ الفكرِ الصوفي وإبطالِ عقائدِه وتقريرِ التوحيدِ الحقّ والسنةِ المحضة.
- تسييرُ القوافل الدعويةِ للقرى والأريافِ لإرشادِ الناسِ وتوجيهِهم في أبوابِ المعتقدِ عبرَ خطبِ الجمعةِ والمحاضراتِ العامةِ أو الدروسِ العلمية.
- إقامةُ الدوراتِ العلميةِ التأصيليةِ التأهيليةِ المتخصصةِ لبيانِ حقيقةِ الصوفيةِ وكشفِ زيفِها لتنميةِ الوعي العقدي لدى الطلابِ في هذا البابِ.
- إقامةُ المسابقاتِ الثقافيةِ لتقريرِ التوحيدِ وتحقيقِ العقيدةِ، وفضحِ زيفِ الصوفيةِ، وكشفِ شركِهم وأباطيلِهم؛ سواء كانت صيفيةً أو عامةً، وفي جميعِ المجالات.
- تكوينُ مكتبةٍ متخصصةٍ تحوي كتبَ الصوفيةِ والكتبَ المتخصصةَ في الردِّ عليهم، كي تكونَ مرجعًا لطلابِ العلمِ والباحثين.
- الكتابةُ والتأليفُ في تحقيقِ أمرِ العقيدةِ والتوحيدِ، والتحذيرِ من الشركِ والبدعةِ تأصيلًا وتقريرًا أو ردًّا وتفنيدًا.

- المراسلةُ والحوارُ والمجادلةُ بالتي هي أحسن مع كبارِ الصوفيةِ من علماءَ أو مثقفين أو غيرِهم مِن عقلائِهم ودعوُتهم إلى الحقِّ المبينِ عن طريقِ المناظرات العلميةِ المؤصلةِ.

- الاستفادةُ من التقنيةِ العصريةِ والتكنولوجيا العلميةِ من مواقعَ على الشبكةِ العالميةِ (الإنترنت) أو الأقراصِ المدمجةِ (السيديهات) وغيرِ ذلك؛ لنشرِ العقيدةِ الصحيحةِ وبيانِ أباطيلِ الصوفيةِ.

- كفالةُ الدعاةِ وطلابِ العلمِ أهلِ السنةِ والتوحيدِ للقيامِ بأمرِ الدعوةِ إلى التوحيدِ والتحذيرِ من الشركِ والبدعةِ.

- الاهتمامُ بالنشءِ وذلك بإقامةِ حلقاتِ حفظِ القرآنِ الكريمِ وحلقاتِ الدروسِ العلميةِ لجميعِ الفئاتِ من الجنسين.

- إصدارُ مجلةٍ شهريةٍ شرعيةٍ دعويةٍ بحيثُ تُخَصَّصُ منها زاويةٌ لتقريرِ التوحيدِ والعقيدةِ مع العنايةِ بكشفِ أباطيلِ الصوفيةِ، وكذا إصدارُ نشراتٍ شهريةٍ في هذا الصددِ.

- بناءُ المساجد في المناطق المحتاجةِ إلى مساجد بحيث يكونُ القائمُ على المسجدِ طالبَ علمٍ يدعو إلى التوحيدِ ويحققُ العقيدةَ.

- إقامةُ المراكزِ العلميةِ في مناطق مختلفةٍ في تهامة، أو تشجيعُ ودعمُ المراكزِ العلميةِ القائمةِ، وتركيزُ الجهودِ فيها على تحقيقِ التوحيدِ وكشفِ زيفِ القبوريةِ والصوفيةِ.

- الاهتمامُ بالجانبِ النسائي والاعتناءُ به عنايةً فائقةً، وصرفُ كثيرٍ من الجهودِ والطاقاتِ لتحصينِ نساءِ الأمةِ بالتوحيدِ والعقيدةِ الصحيحةِ، وتجنيبهن الشركَ والبدعةَ.

- استهدافُ طبقةِ المدرسين والعنايةُ بهم؛ وذلك لتأثيرِهم المباشرِ على الطلابِ في جميعِ المراحل العلميةِ.

- الاهتمامُ بحاجاتِ الناسِ الاقتصاديةِ وسدُّ جوعتِهم، وإعانتُهم في فقرِهم من حيثُ كفالةِ الأيتامِ والأرامل والأسرِ الفقيرةِ؛ لما لذلك من أبلغِ الأثرِ في الوصولِ إلى قلوبِهم ودعوتِهم إلى الحقِّ المبينِ.

- وخاتمةُ الوسائل: إقامةُ مؤسسةٍ علميةٍ دعويةٍ متخصصةٍ لمواجهةِ المدِّ الصوفي العادي على العقائد والعباداتِ والسلوكِ، ودرءِ فسادِه بكلِّ الوسائل والطرقِ المتاحةِ.



نمـاذجُ للجهـودِ الإصلاحيـةِ لعلمـاءِ ودعـاةِ تهامـةَ في مواجهـةِ المـدِّ الصـوفي

لقد كانَ لعلماءِ وطلابِ العلمِ والدعاةِ إلى اللهِ عز وجل في تهامة اليمن ما لغيرِهم من العلماءِ والدعاةِ في سائرِ بلادِ اليمن من الجهودِ الإصلاحيةِ لمواجهةِ المدِّ الصوفي وما ينطوي عليه من بدعٍ وشركٍ وضلالاتٍ مختلفةٍ، وقد تنوعتْ الجهودُ التي قاموا بها ما بين جهودٍ علميةٍ أو عمليةٍ، وكان من تلك الجهودِ والنماذج الآتية:

النموذج الأول: بيانُ حكمِ الإسلامِ في نتيجةِ بيتِ الفقيه:

نتيجةُ بيتِ الفقيهِ أو نتيجةُ فلكيِّ اليمن نشرةٌ سنويةٌ يصدرُها كاهنٌ من مدينةِ بيتِ الفقيه في تهامة يُدعى محمد أحمد مهدي أمين يتكهنُ فيها لِمَا سيحدثُ خلالَ العامِ الجديدِ يزعمُ فيها أنه ينظرُ طالعَك وحظكَ والمستقبلَ في النجومِ وعلمَ الجفر والزيرجة وعلمَ الرملِ وغيرَ ذلك من الدجلِ والكذبِ[١].

ومما يُؤْسَفُ له إقبالُ طائفةٍ من الناسِ على ما فيها وتصديقُ ذلك بلْ وافتخارٌ من قِبَلِ بعضِ المثقفين – زعموا – بها وأنها من مفاخر اليمن.

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٦).

ولقد قامَ بعضُ الغيورين في مركزِ الإيمان الخيري للشريطِ الإسلامي بطرحِ سؤالٍ على العلماءِ والدعاةِ إلى اللهِ عز وجل في البلادِ اليمانية حولَ هذه النتيجةِ وكانَ نصُّ السؤالِ: ما حكمُ الشرعِ في هذه النتيجةِ التي يصدرُها هذا الرجلُ والتي يذكرُ فيها ما سيحدثُ للأشخاصِ والبلدان، وكذلك مختلفِ الأحداثِ والتغيراتِ السياسيةِ والاقتصاديةِ والكوارث وغيرِ ذلك معتمدًا كما يقول على علم الجفر والنجوم وغيرها؟ وهل يجوزُ إصدارُها وبيعُها وشراؤُها وتداولُها؟

وقد تفضلَ أصحابُ الفضيلةِ بالإجابةِ عن هذا التساؤلِ إجابةً مفصلةً، ونُشِرَتْ في كتيبٍ بعنوانِ حكم الإسلام في نتيجةِ بيت الفقيه، كما نُشِرَتْ أيضًا خلاصةُ تلك الإجاباتِ في نَشْرَةٍ بعنوان: نتيجة بيتِ الفقيه[١] في ميزان الإسلام[٢].

وفيما يلي ما وَرَدَ في النشرةِ الآنفةِ الذكرِ:

-ركَّزَ العلماءُ على أن عملَ هذا الرجلِ هو ادعاءٌ لعلمِ الغيبِ، وأنَّ من أصولِ العقيدةِ الإسلاميةِ المقررةِ عند أهلِ الملةِ أن اللهَ استأثرَ بعلمِ الغيبِ فلا يعلمُه أحدٌ سواه، وأدلةُ ذلك جَدُّ كثيرةٍ، ومنها:

١. قولُه تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النّمل (٦٥)].

١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٧).
٢.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٨).

٢. قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران (١٧٩)].

٣. وقولُه تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام (٥٩)].

٤. وقولُه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس (٢٠)].

٥. وقولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل (٧٧)].

٦. وقولُه تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن (٢٦)].

وعلى هذا فعلمُ الغيبِ محجوبٌ عن جميعِ الخلقِ، بما في ذلك الملائكةُ والنبيون قالَ اللهُ تعالى حكايةً عن الملائكةِ: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة (٣٢)]، وقالَ اللهُ حكايةً عن محمد صلى اللهُ عليه وسلم: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف (١٨٨)].

وقالَ اللهُ آمرًا نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام (٥٠)]، وقالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن (٢٦-٢٧)].

وقالَ اللهُ عن الجنِّ: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ (١٤)]، ويقولُ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان (٣٤)].

فاللهُ قد حجبَ علمَ الغيبِ عن أكرمِ خلقِه وهم الأنبياءُ والملائكةُ إلا ما أعلَمَه اللهُ لهم، أفبعدَ هذا يأتي هذا ويدعي معرفةَ الغيبِ؟! إن من ادَّعى عِلْمَ الغيبِ قد نازعَ اللهَ وكذَّبَ القرآنَ وفارقَ هذه الملةَ.

- ركَّزَ العلماءُ في إجابتِهم على أن هذا العملَ من الكهانةِ التي جاءَ الإسلامُ بتحريمِها، إذ أن الكاهنَ هو الذي يدَّعي معرفةَ علمِ الغيبِ، وما سيقعُ من أحداثٍ مستقبليةٍ، وأنَّ صاحبَ هذا العملِ كاهنٌ، والرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ: (ليس منا من تطيرَ أو تُطيِّرَ له أو تَكهَّنَ أو تُكُهِّنَ له ...) رواه البزار والطبراني.

وأن من أتى كاهنًا فسألَه عن شيءٍ لم تُقبلْ صلاتُه أربعين يومًا كما جاء في صحيحِ مسلمٍ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم، أمَّا إنْ سألَه وصَدَّقَه بما يقولُ فقد كفرَ بما أُنزلَ على محمدٍ كما جاءَ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم في سنن أبي دود والنسائي والترمذي وابنِ ماجة وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٠٠٦)، هذا السائلُ فما بالُك بالمسئولِ؟!

– علمُ النجومِ الذي يدَّعي صاحبُ هذه النتيجةِ الاعتمادَ عليه في معرفةِ علمِ الغيبِ يقولُ فيه الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم: (من اقتبسَ شعبةً من النجومِ فقد اقتبسَ شعبةً من السحرِ زادَ ما زادَ) رواه أبو داود وابنُ ماجه وأحمد وصحَّحَه الألباني في السلسلة (٧٩٣).

وقد جاءَ في البخاري عن قتادة: (خلقَ اللهُ هذه النجومَ لثلاثٍ: زينةٍ للسماءِ، وعلاماتٍ يُهتدى بها، ورجومٍ للشياطين، فمن تأوَّلَ فيها غيرَ ذلك أخطأَ وأضاعَ نصيبَه وتكلَّفَ ما لا عِلْمَ له به).

وقالَ الإمامُ الخطابي في معالم السنن: (علمُ النجومِ المنهيُّ عنه هو ما يدَّعيه أهلُ التنجيمِ من علمِ الكوائنِ والحوادثِ التي ستقعُ وما في معناها من الأمورِ التي يزعمون أنها تُدْرَكُ، ويدَّعون أن لها تأثيرًا في السفليات، وهذا منهم تحكمٌ على الغيبِ وتعاطي لعلمٍ قد استأثرَ اللهُ به فلا يعلمُ الغيبَ سواه).

- وأما علمُ الجفر (وأنه العلمُ الإجمالي بلوحِ القضاءِ والقدرِ، والذي يحتوي على ما كانَ ويكونُ وأن الرسولَ خَصَّ به عليًّا وذريتَه من بعدِه) فأمرٌ وهميٌّ لا حقيقةَ له، وأدلةُ ذلك كثيرةٌ يكفي منها:

ما جاءَ عن البخاري من سؤالِ أبي جحيفة لعلي رضي اللهُ عنه: (هلْ عندَكم شيءٌ مما ليسَ في القرآنِ أو ليس عندَ الناسِ؟ فقالَ: والذي فلقَ الحبةَ وبرأَ النسمةَ ما عندنا إلا ما في القرآنِ إلا فهمًا يُعطى رجل في كتابِه وما في الصحيفةِ، قلتُ: وما في الصحيفةُ؟ قالَ: العقلُ وفكاكُ الأسيرِ وألَّا يُقْتَلَ مسلمٌ بكافرٍ).

وما جاءَ عند مسلمٍ برقم: (١٩٧٨) عن علي قوله: (ما خصَّنا رسولُ اللهِ بشيءٍ لم يَعُم به الناسَ كافةً إلا ما كان في قُرابِ سيفي هذا) وأخرجَ صحيفةً مكتوبٌ فيها: لعنَ اللهُ من ذبحَ لغيرِ اللهِ.

فعلمُ الجفر باطلٌ وما بُني على باطلٍ فهو باطلٌ.

وبناءً على ما سبق فقدْ أكدَ العلماءُ على أنه لا يجوزُ التصريحُ بإصدارِها، كما أنه لا يجوزُ طبعُها ولا بيعُها ولا شراؤُها ولا تداولُها، وأنه يجبُ على الجهاتِ المختصةِ مصادرتُها والأخذُ على يدِ صاحبِها ومحاكمتُه، وأنه يجبُ عليه التوبةث إلى اللهِ والابتعادُ عن هذه الضلالاتِ، وأنه يجبُ إسداءُ النصيحةِ لكلِّ من يقتنيها أو يطَّلَعُ عليها، وتبيينُ مخاطرَ ذلك على العقيدةِ والتوحيدِ لعمومِ المسلمين.

تلك هي بعضُ أهمِّ النقاطِ التي ركَّزَ عليها العلماءُ سارعنا في إخراجِها إقامةً للحجةِ وتوضيحًا للحقِّ ونصحًا للخلقِ، والعلماءُ الذي أجابوا على ذلك التساؤلِ هم:

محمد بن إسماعيل العمراني – عمر أحمد سيف — عبد المجيد الريمي – محمد الصادق – حسين عمر محفوظ – محمد المؤيد – حسن حيدر الوصابي – علي العديني – مراد القدسي – أحمد حسان – عارف أنور — عمار بن ناشر – عبد الله أحمد المرفدي – أحمد مقبل نصر – عبد الرحمن قحطان – عقيل المقطري – عبد الله سيف – عبد الله سنان – طارق عبد الواسع – عبد الملك داود – عبد القادر الشيباني – فاضل محمد عبد الله — يحي الجهراني – حسن الأهدل – أمين عبد الله جعفر – عبد الله الأهدل – محمد سعد الحطامي – عمر علي سقيم – حسن صغير الأهدل – عبد الرحمن عبد الله الأهدل – أحمد حسن المعلم – عبده عبد الله الحميدي — حميد عقيل – محمد المهدي – القاضي علي البعداني – محمد بن علي الرحبي – عبد الله غالب الحميري — عبد الرحيم الشرعي – عبد الله عبده الإبي – يحيي السوسوة.

كما تمَّ الاعتمادُ على فتوى حولَ الموضوعِ لسماحةِ الشيخِ عبد العزيز بن باز، ومعه لجنةُ الإفتاءِ الدائمةُ المكونةُ من كلٍّ من: عبد العزيز آل الشيخ، صالح الفوزان، بكر أبو زيد، عبد الله الغديان[١].

١.القبورية في اليمن أحمد حسن المعلم (ص ٦٥٩-٦٦٢).

وكنتُ قدْ زبرتُ فُتيا في نتيجةِ فلكي اليمن حينَ سُئلتُ عنها، ونُشِرَتْ ضمن كتيبِ حكمِ الإسلامِ في نتيجة بيت الفقيه، وهذا نصُّها:

فتيا في نتيجةِ فلكي اليمن (الشهيرة بنتيجةِ بيتِ الفقيه):

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعين .. وبعد، فإجابةً على ما ذُكِرَ في السؤالِ عن حكمِ ما يُسمى بـ(نتيجة فلكي اليمن) التي يصدرُها (محمد أحمد مهدي أمين) أقولُ وباللهِ التوفيق:

إنَّ من أصولِ العقيدةِ الإسلاميةِ المقررةِ عند أهلِ الملةِ أنَّ اللهَ تعالى استأثرَ بعلمِ الغيبِ لنفسِه فلا يعلمُه إلا هو سبحانه وتعالى، كما قالَ عز وجل: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النّمل (٦٥)].

وقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس (٢٠)].

وقالَ سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل (٧٧)].

وقَالَ سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام (٥٩)].

وأخرجَ البخاريُّ في صحيحِه عن عبدِ الله بن عمر أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: (مفاتحُ الغيبِ خمسٌ، ثم قرأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان (٣٤)].

وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران (١٧٩)].

وقالَ سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن (٢٦)].

وأخبرَ عن نوح عليه السلام وهو يخاطبُ قومَه فقالَ تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود (٣١)].

وقالَ سبحانه عن نبينا محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ في عُلاه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام (٥٠)].

وقالَ سبحانه وتعالى عن نبينا محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف (١٨٨)].

وعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقَهُ بما يقولُ، فقدْ كفرَ بما أُنزلَ على محمدٍ)، فهذا الحديثُ دليلٌ بينٌ على كفرِ الكاهنِ والساحرِ، وذلك لأنهما يدَّعيان علمَ الغيبِ، وادعاءُ علمِ الغيبِ كفرٌ، والمصدقُ لهما يعتقدُ فيهما ذلك ويرضى به ذلك كفر أيضًا.

والكاهنُ هو الذي يخبرُ عن المغيباتِ في المستقبلِ، وقيلَ الذي يخبرُ عما في الضميرِ، وأما العرافُ فهو الذي يدَّعي معرفةَ الأمورِ بمقدماتٍ يستدلُّ بها على المسروقِ ومكانِ الضالةِ ونحو ذلك من الأمور.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: (العرافُ اسمٌ عام للكاهنِ والمنجمِ والرمالِ ونحوِهم ممن يتكلمُ في تقدمِ المعرفةِ بهذه الطرقِ) مجموع الفتاوى (١٧٣/٣٥)، وعليه: فكلُّ من ادَّعى علمَ الغيبِ بأي طريقةٍ من الطرقِ كانت فهو كافرٌ مرتدٌّ، ومن ذلك ما ذكرُه السائلُ في علمِ الجفرِ والنجومِ.

فأما علمُ الجفرِ الذي يزعمُ أصحابُه أنه هو العلمُ الإجمالي بلوحِ القضاءِ والقدرِ، المحتوي على ما كانَ وما يكونُ كليًّا وجزئيًّا، وادَّعى أصحابُه أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَسَرَّ بهذا العلمِ إلى علي بن أبي طالب، وأمرَه بتدوينه وأنَّ علي بن أبي طالب وضعَ الحروفَ الثمانية والعشرين على طريقِ البسطِ الأعظمِ على جِلدِ الجفرِ - والجفرُ هو جلدُ ثورٍ أو بعيرٍ صغيرٍ؛ لأن الجفرَ في اللغةِ هو

الصغير - كي يستخرجَ منها بطرقٍ مخصوصةٍ وشرائطَ معينةٍ ألفاظًا مخصوصةً تدلُّ على ما في لوحِ القضاء والقدر.

وعلمُ الجفرِ هذا من أعظمِ الضلالِ وأبينِ الباطلِ؛ لما فيه من نقضٍ صريحٍ لما سبقَ تقريرُه من الآياتِ القرآنيةِ والأحاديث النبويةِ الدالةِ على استئثارِ اللهِ تعالى بعلمِ الغيبِ، ولما فيه أيضًا من الكذبِ الصراحِ والافتراءِ المبينِ على أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية: (ومن المعلومِ بالتواترِ علمًا ضروريًّا لمن له خبرةٌ متوسطةٌ بأحوالِ الصحابةِ أنهم كانوا أعظمَ الخلقِ منافاةً لمثلِ هذه التحريفاتِ التي يسمونها "التعبير والتأويل" خاصتَهم وعامتَهم، وأن جميعَ ما يُنقلُ عنهم مما يخالفُ الظاهرَ المعروفَ فهو كذبٌ مُفترى، مثل ما يزعمُ أهلُ البطاقةِ والجفرِ ونحوِ ذلك مما يدعونَه من العلومِ الباطنةِ المنقولةِ عن علي كرَّمَ اللهُ وجهه، وأهلِ البيتِ رضيَ اللهُ عنهم.

وقد ثبتَ بالأحاديث الصحيحةِ الثابتةِ عن علي رضي اللهُ عنه المتلقاةِ بالقبولِ ما يُكَذِّبُ ذلك، كقولِه لما قيلَ له: (هل عهد إليكم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عهدًا لم يعهدْه إلى الناسِ؟ فقال: لا. والذي فلقَ الحبةَ وبرأَ النسمةَ إلا فهمًا يؤتيه اللهُ عز وجل عبدًا في كتابه، وما في هذه الصحيفة) فكانَ فيها العقل - يعني عقل القتيل وهو أسنان الديات - وفيها افتكاكُ الأسيرِ، وفيها لا يُقتلُ مسلمٌ بكافرٍ.

وكذلك في الصحيحِ عنه أنه قالَ: (ما عندنا من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كتابٌ نقرؤهُ إلا كتابَ اللهِ وما في هذه الصحيفةِ) وفيها المدينةُ حرامٌ ما بين عيرٍ إلى ثور، مَن أحدثَ فيها حدثًا فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين)، ونحو ما تقدم ومثل هذا عن علي رضي الله عنه كثيرٌ) بغية المرتاد (ص ٣٢١-٣٢٢).

وأما علمُ النجومِ أو التنجيمُ فالمرادُ به الاستدلالُ بالأحوالِ الفلكيةِ على الحوادثِ الأرضيةِ، قال الخطابي: (علمُ النجومِ المنهيُّ عنه ما يدَّعيه أهلُ التنجيمِ من علمِ الكوائن والحوادث التي ستقعُ في مستقبلِ الزمانِ، كأوقاتِ هبوبِ الريحِ ومجيءِ المطرِ وتغيرِ الأسعارِ، وما في معناها من الأمورِ التي يزعمون أنها تُدْرَك معرفتُها بسيرِ الكواكبِ في مجاريها واجتماعِها وافتراقِها، ويدَّعون أنَّ لها تأثيرًا في السُفليات، وهذا منهم تحكمٌ على الغيبِ وتعاطي لعلمٍ قد استأثرَ اللهُ به، لا يعلمُ الغيبَ سواه) ا.هـ. من معالم السنن.

فهذا العلمُ لا يستندُ إلى أصلٍ شرعي ألبتة، بل هو نوعٌ من السحرِ، فقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرُهم بإسنادٍ صحيحٍ عن ابنِ عباس قالَ: قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: (من اقتبسَ علمًا من النجومِ اقتبسَ شعبةً من السحرِ زادَ ما زاد)، فقد صرحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأن علمَ النجومِ من السحرِ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه

(٦٩)]، وهكذا الواقعُ فإن الاستقراءَ يدلُّ على أن أهلَ النجومِ لا يفلحون لا في الدنيا ولا في الآخرةِ) ا.هـ من كلامِ شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٩٣/٣٥).

وقد خرج الإمامُ مسلمٌ في صحيحِه من حديثِ أبي مالك الأشعري رضي اللهُ عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: (أربعٌ في أمتي من أمرِ الجاهليةِ لا يتركونهن: الفخرُ بالأحسابِ، والطعنُ في الأنسابِ، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحةُ على الميتِ).

وفي الصحيحين من حديثِ زيد بن خالد رضي اللهُ عنه قال: (قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: قال اللهُ تعالى: أصبحَ من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأما من قالَ مُطِرْنَا بفضلِ اللهِ ورحمتِه فذاك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب، وأما من قالَ مُطرنا بنوءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكواكب).

وبناءً على ما تقدم: فإنه لا يجوزُ طَبْعُ ولا شراءُ ولا بيعُ ولا تداولُ هذه النتيجةِ، لما فيها من ادعاءِ علمِ الغيبِ الذي هو من خصائصِ اللهِ عز وجل.

واللهُ أعلم، وصلى اللهُ على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



النموذجُ الثاني: الفتاوى اليمنية في تحريمِ رفعِ القبورِ والزيارات البدعيةِ والشركية:

لقد قامَ بعضُ طلابِ العلمِ من الدعاةِ إلى اللهِ عز وجل بكتابةِ استفتاءٍ حولَ ما يُفعلُ عند القبورِ من الشركِ باللهِ عز وجل والبدعِ والضلالات، وقد أجابَ العلماءُ الأعلامُ عن هذا الاستفتاءِ ونُشِرَ الجوابُ على هيئةِ كتيبٍ يحوي السؤالَ والإجاباتِ على وجهِ التفصيلِ، وعلى هيئةِ نشرةٍ تحوي السؤالَ وملخصَ الإجاباتِ، وهذا مضمونُ النشرةِ:

الحمدُ للهِ وحدَه والصلاةُ والسلامُ على من لا نبيَّ بعدَه، محمد وعلى آله وصحبه ... وبعد:

فهذه فتاوى شرعيةٌ، صادرةٌ من علماءِ يمنِ الإيمانِ والحكمةِ في بيانِ تحريمِ رفعِ القبورِ والزياراتِ البدعيةِ والشركيةِ، وإليك نصُّ السؤال:

(السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته ... وبعد:

فإنَّ في بلادِنا قبورَ رجالٍ صالحين، مرفوعةً ببناءٍ فوقَ الأرضِ، فيها حفرةٌ صغيرةٌ بداخلِها ترابٌ يُتبَرَّكُ به ويُستشفَى به، وتُقامُ لهذه القبورِ زياراتٌ سنويةٌ موسميةٌ في شهرِ رجبَ الحرامِ وغيرِه، يُذبَحُ فيها الكباشُ لأصحابِ القبورِ ويجتمعُ عندها الرجالُ والنساءُ والباعةُ والألعابُ، ويُحتفَلُ بهذه الزياراتِ كالاحتفالِ بيومِ العيدِ، وتُهانُ فيها القبورُ أيما إهانةٍ.

فما هو قولُ السادةِ العلماءِ والأئمةِ الفضلاءِ في رفعِ القبورِ بالبناءِ؟ وما حكمُ هذه الزياراتِ؟ وهل هي الزياراتُ الشرعيةُ التي حثَّ عليها أبو القاسم محمد صلى اللهُ عليه وسلم؟ أفتونا مأجورين نفعَ اللهُ بكم الإسلامَ والمسلمين).

وقد تقدمَ أصحابُ الفضيلةِ العلماءُ بالإجابةِ عن هذا الاستفتاءِ، ننشرُ هنا خلاصةَ إجاباتِهم:

(أولًا: أوضحَ العلماءُ في فتاواهم على أنه لا أحدَ من الخلقِ لا ملك ولا نبي ولا ولي يضرُّ أو ينفعُ، وأن الأمواتَ لا ينفعون الأحياءَ ولا يغنون عنهم من اللهِ شيئًا، بل الأمواتُ بحاجةٍ إلى دعاءِ الأحياءَ لهم، والاستغفارِ لهم، وإذا كان سيدُ الأولين والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يملكُ لنفسِه نفعًا ولا ضرًّا، فكيف يملكُ ذلك غيرُه ممن هو دونَه، وعليه فلا يجوزُ اعتقادُ النفعِ والضرِّ في أصحابِ القبورِ مطلقًا لأنه من الشركِ الأكبر المخرجِ من ملةِ الإسلامِ.

ثانيًا: أوضحَ العلماءُ أن شدَّ الرحالِ إلى القبورِ بدعةٌ محدثةٌ منكرةٌ، وقد جاءَ الشرعُ بالنهي عن شدِّ الرحالِ إلا إلى ثلاثةِ مساجد، كقولِ النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تُشَدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجد: مسجدي هذا، والمسجدِ الحرامِ، والمسجدِ الأقصى) أخرجَه البخاريُ ومسلمٌ وغيرُهما.

ثالثًا: أكَّد العلماءُ على حرمةِ رفعِ القبورِ أكثرَ من شبرٍ لقولِ النبي صلى الله عليه وسلم لعليٍّ بن أبي طالب: (لا تَدَعْ تمثالًا إلا طمستَه ولا قبرًا مُشرفًا إلا سويتَه) أخرجه مسلم.

رابعًا: أكدَ العلماءُ على حرمةِ البناءِ على القبورِ مطلقًا، وتجصيصِها، والكتابةِ عليها، والقعودِ عليها، لحديثِ جابر بن عبد الله: (نهى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أن يُقْعَدَ على القبرِ، وأن يُجَصَّصَ أو يُبنى عليه)، أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وفي روايةٍ: (نهى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أن يُكْتَبَ على القبرِ شيءٌ) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

خامسًا: بيَّن العلماءُ الفرقَ بين الزيارةِ الشرعيةِ للقبورِ، التي تكونُ للعظةِ، والاعتبارِ، وتذكرِ الآخرةِ، والدعاءِ والاستغفارِ للميتِ، وبين الزياراتِ البدعيةِ والشركيةِ التي يُتَقَرَّبُ فيها إلى أصحابِ القبور بالذبائحِ والنذورِ والاستغاثاتِ وما إلى ذلك من أمورِ الشركِ الأكبرِ المخرجِ عن ملةِ الإسلامِ، وأن هذه الأمورَ لا تكونُ إلا لله عز وجل وحدَه لا شريكَ له، لقولِه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام (١٦٢-١٦٣)]، ولقولِه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر (٢)]، ولقولِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم: (لعن اللهُ من ذبحَ لغيرِ اللهِ) أخرجه مسلم.

سادسًا: بيَّنَ العلماءُ على أن وضعَ حفرةٍ على القبرِ وجعلَ الترابِ فيها للتبركِ والاستشفاءِ به من وسائلِ الشركِ الأكبرِ المخرجِ عن ملةِ الإسلامِ.

سابعًا: أكَّد العلماءُ على تحريمِ وخطورةِ ما يجري في هذه الزياراتِ من الاختلاطِ بين الرجالِ والنساءِ وخروجِ الباعةِ والطبولِ وما يجرُّه من الفتنِ والفواحش والموبقاتِ، علمًا أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم: **(لعنَ زواراتِ القبورِ)** أخرجه أحمد والترمذي.

ثامنًا: أوضحَ العلماءُ تحريمَ تخصيصِ شهرٍ من السنةِ لزيارةِ قبورِ الأولياءِ خاصةً في شهرِ رجب الحرام، وأن ذلك وسيلةٌ من وسائلِ الشركِ الذي لا يغفرُه اللهُ عز وجل إن ماتَ صاحبُه عليه؛ لقولِ النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا تجعلوا قبري عيدًا)** أخرجه أبو داود).

وإليك أسماءُ بعضِ العلماءِ والمشايخ الذين أفتوا ووقعوا على هذه الفتوى:

- القاضي/محمد بن إسماعيل العمراني.
- الشيخ المحدث/ مقبل بن هادي الوادعي.
- الشيخ الدكتور/ إبراهيم بن إبراهيم القريبي.
- الشيخ الدكتور/ عبد الوهاب الديلمي.
- الشيخ/ محمد الصادق المغلس المراني.

- الشيخ/ عبد المجيد الزنداني.
- الشيخ عبد العزيز الدبعي.
- الشيخ عبد المحسن ثابت.
- الشيخ/ عبد المجيد الريمي.
- الشيخ/ عقيل المقطري.
- الشيخ/ محمد عبد الوهاب الوصابي.
- الدكتور/ أحمد محمد زبيلة.
- الشيخ/ أحمد بن حسن المعلم.
- الشيخ إسماعيل العنسي.
- الشيخ/ محمد المهدي.
- الشيخ/ عبدالرحمن بن عبدالله شميلة.
- الشيخ/ حسين بن عمر بن محفوظ.
- الشيخ/ عمر بن أحمد سيف.
- الشيخ/ عبد القادر الشيباني.
- الشيخ/ صالح بن علي الوادعي.
- الشيخ/ طارق بن عبد الواسع.
- الشيخ/ عبد الله الحاشدي.

- الشيخ/ ناصر الكريمي.
- الشيخ/ عيسى شريف.
- الشيخ أحمد حسان.
- الشيخ/ علي باروبس.
- الشيخ/ علي بن فتيني.
- الشيخ/ عبدالله بن غالب الحميري.
- الشيخ/ أحمد أهيف.
- الشيخ/ أمين بن عبدالله جعفر.
- الشيخ/ عمار بن ناشر.
- الشيخ/ محمد بن علي الوادعي.
- الشيخ/ عارف أنور.
- الشيخ/ علي مقبول الأهدل.
- الشيخ/ محمد بن سالم الزبيدي.
- الشيخ/ محمد بن سعد الحطامي.
- الشيخ/ حسن صغير الأهدل.
- الشيخ/ مراد القدسي.
- الشيخ/ إسماعيل عبد الباري.
- الشيخ/ حسن الزومي.

- حاكم زبيد الشيخ/ عبد الكريم النعماني.
- الشيخ/ محمد المعمري.
- الشيخ عبد الله فيصل الأهدل.
- الشيخ/ عمر سقيم.

ملاحظة: علمًا أن هذه الفتوى هي مضمونُ كلامِ إِمَامَيْ القطرِ اليماني محمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني رحمهُما اللهُ تعالى[١].



١ .انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (١٩).

النموذجُ الثالث: إلغاءُ زيارةِ الجلاب:

زيارةُ الجلاب واحدةٌ من كبرياتِ الزياراتِ الشركيةِ في تهامة اليمن، حيثُ يُستغاثُ فيها بصاحبِ القبرِ أحمد الجلاب، ويُدعى من غيرِ اللهِ، ويُطافُ حولَ قبرِه، ويُنذرُ له بالسعي والجري، ويُذبحُ عند القبرِ لغيرِ اللهِ عز وجل، وكان يأتي إلى هذه الزيارةِ سابقًا عددٌ كبيرٌ جدًّا ممن يشركون باللهِ عز وجل عند هذا القبرِ، ربما يصلُ عددُهم إلى عشرةِ آلاف شخصٍ[١].

وقد وفَّقَ اللهُ عز وجل العلماءَ والدعاةَ وطلابَ العلمِ إلى السعي الحثيثِ لإنكارِ هذا المنكرِ العظيمِ، فكانَ أنْ سُيِّرَتْ القوافلُ الدعويةُ لتبصيرِ الناسِ بحكمِ هذه الزياراتِ الشركيةِ البدعيةِ، فكانتْ القوافلُ تنطلقُ إلى القريةِ أو المنطقةِ التي تحصلُ الزياراتُ عندها يومَ الجمعةِ قبيلَ الزيارةِ، فلا يَدَعُونَ مسجدًا إلا وقاموا بأداءِ خطبةِ الجمعةِ فيه، مبينين ما يجبُ على العبادِ من التوحيدِ، ومحذرين الأمةَ من الشركِ باللهِ ربِّ العالمين، ومنه ما يكونُ في تلك الزياراتِ من الشركِ المبينِ.

ثم تُقامُ المحاضراتُ في تلك المنطقةِ لبيانِ التوحيدِ والتحذيرِ من الشركِ، وذلك في مواسمِ الزياراتِ، وهي شهرُ جماد الآخرة ورجب وشعبان وذو الحجة، وكان من تلكم المناطق منطقةُ الحيمة إحدى قرى مديرية الخوخة غربي زبيد، فوَفَّقَ اللهُ حاكمَ زبيد "القاضي عبد الكريم النعماني" إلى إصدارِ أمرِه بمنعِ قيامِ هذه الزيارةِ، ومنعِ

١.سبق الحديث عن زيارة الجلاب وما يعمل عندها (ص:٥٧).

ما يحصلُ عندها من المخالفاتِ الشرعيةِ، وذلك عام ١٤٢٢هـ.[١]

فتعاضدَ على منعِ هذه الزيارةِ العلماءُ وطلابُ العلمِ والدعاةُ إلى اللهِ والمخلصون الغيورون من وجهاء وأعيانِ المنطقةِ والصادقون من رجالِ أمنِ الدولةِ، حتى مُنِعَتْ هذه الزيارةُ تمامًا ومُحيتْ آثارُها وطُمِسَتْ معالمها وصارتْ أثرًا بعد عين، ولقد بلغَ الحنقُ ببعضِ دعاةِ القبوريةِ أنْ قالَ في كتابِ الزياراتِ والأولياء في تهامة: (زيارةُ الجلاب يختلطُ فيها الرجالُ بالنساءِ، ويكونُ التحدي في الرقصاتِ الشعبيةِ بين الذكورِ والإناثِ؛ مما حدا ببعضِ الجماعاتِ الإسلاميةِ المتطرفةِ أن تقومَ بتهديدِ الحاضرين في العام المنصرم (٢٠٠١ م)، وإحضارِ الشرطةِ لمنعِ النساءِ من الاختلاطِ بالرجالِ واللعبِ معهم، بلْ وإلغاء الزيارةِ تمامًا أولًا: بحجةِ الاختلاطِ، ثانيًا: لأنه يتمُّ فيها زيارةُ الولي أحمد جلاب)[٢].



١.انظر: ملحق الوثائق والمصورات رقم (٢٠)
٢.الزيارات والأولياء في تهامة (ص ٧٧).

النموذجُ الرابعُ: التحذيرُ من الاحتفالِ بالمولدِ النبوي:

الاحتفالُ بالمولدِ النبوي بدعةٌ وضلالةٌ نشأَ عليها الصغيرُ وهَرِمَ عندها الكبيرُ، وقد انتشرتْ في البلادِ التهامية انتشارَ النارِ في الهشيم، فكانَ لزامًا على من بَصَّرَهُ اللهُ بالدينِ وعرفَ الحقَّ المبينَ أن يُحَذِّرَ الأمةَ من هذه البدعةِ ويدعوهم إلى السنةِ المحضة، فكان أن رَقَمْتُ بيانًا للأمةِ في بلادِنا التهامية بعنوان: "الحق أحقُّ أن يُتبع"، عن حكم الاحتفال بالمولدِ النبوي، وتم نشرُه وتوزيعُه بصورةٍ كبيرةٍ، وهذا نصُّ البيانِ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحقُّ أَحَقُّ أنْ يُتَّبَعْ

الحمد للهُ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ خلقِ اللهِ، سيدنا محمدٍ وعلى آله ومن والاه.

وبعد:

أخي المسلم الكريم، فإن مما لا شكَّ فيه لدينا أنك وكثيرًا من الإخوةِ الذين يحتفلون بمولدِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، أن الباعثَ لكم على ذلك هو محبةُ سيدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم وتعظيمُه وتوقيرُه وإجلالُه، ولكنْ أخي الحبيب نُحبُّ أن نقفَ معك في هذا الأمرِ وقفات:

الأولى: أنَّ من الأمورِ البدهيةِ التي لا ريبَ فيها أن كمالَ محبةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بكمالِ طاعتِه والانقيادِ لهديه، كما قالَ سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران (٣١)]، ومن المعلومِ لدى الجميعِ أنَّ سيدَنا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لم يحتفلْ بيومِ مولدِه، فكيفَ لنا أن نأتيَ أمرًا لم يفعلْه صلى اللهُ عليه وسلم وليسَ من هديه وسنتِه؟!

الثانية: أنَّ اللهَ عز وجل قد أكملَ لنا الدينَ، وأن الرسولَ صلى الله عليه وسلم قد بلَّغَنَا البلاغَ المبينَ، ولم يكن فيما بلغنا إياه رسولُنا صلى الله عليه وسلم شيئًا من الاحتفالِ بيومِ مولدِه صلى الله عليه وسلم وهو القائلُ: (مَنْ أَحْدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ منه فهو رَدٌّ).

الثالثة: أن الأئمةَ الأعلامَ الذين دونوا سيرةَ النبي الكريمِ صلى الله عليه وسلم لم يتفقوا على تحديدِ يومِ مولدِه صلى الله عليه وسلم، بل اختلفوا في ذلك على أقوالَ كثيرةٍ، ولا يوجدُ نَصٌّ صحيحٌ صريحٌ يؤيدُ واحدًا منها، وعليه فلا يمكننا تحديدَ يومِ مولدِ النبي صلى الله عليه وسلم قطعًا لعدمِ وجودِ النصِّ الصحيحِ الصريحِ أو الإجماعِ القطعي.

الرابعة: أنَّ الصحابةَ الكرامَ وعلماءَ الإسلامِ وفقهاءَ الملةِ وعلى رأسِهم الأئمةُ الأربعةُ وزينتُهم إمامُنا الشافعي لم يُنْقَلْ عن واحدٍ منهم أنه احتفلَ بمولدِ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ولو كانَ هذا الفعلُ مشروعًا أو خيرًا محضًا أو راجحًا لسبقنا إليه السلفُ الصالحُ رضوانُ اللهِ عليهم، ولقد قالَ حذيفةُ رضيَ اللهُ عنه فَصَدَقَ: (كُلُّ عبادةٍ لم يتعبدْها أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم فلا تتعبدُوها).

الخامسة: أن علماءَ التاريخِ ذكروا أنَّ أولَ من احتفلَ بالمولدِ النبوي هم العبيديون الفاطميون، وهم من الطوائف الضالةِ المخالفةِ لدينِ الإسلامِ، ولعلهم فعلوا ذلك تشبهًا بالنصارى في احتفالِهم بميلادِ المسيحِ عيسى عليه السلام، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقولُ: (مَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم).

السادسة: ما يصنُعه البعضُ في الاحتفالِ بالمولدِ النبوي من المخالفاتِ الشرعيةِ والمحاذير الدينيةِ والمنكراتِ من دعاءِ غيرِ اللهِ، والاستغاثةِ بغيرِ اللهِ، واختلاطِ الرجالِ بالنساءِ، والرقصِ، ودقِّ الطبولِ، وغيرِ ذلك مما يُغْضِبُ اللهَ ويُسْخِطُهُ.

السابعة: أن محبةَ النبي صلى الله عليه وسلم تكونُ في كلِّ يومٍ وكلِّ ساعةٍ، ليست مختصةً بيومٍ دونَ يومٍ أو وقتٍ دونَ وقتٍ، ومحبتُه المحبةَ الصادقةَ الصحيحة تكونُ بطاعتِه صلى اللهُ عليه وسلم والإكثارِ من الصلاةِ والسلامِ عليه، وقراءةِ سيرتِه، وتعظيمِه وتوقيرِه وإجلالِه دائمًا وأبدًا.

وفي الختامِ: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته.



الخاتمة

وختامًا: فهذا خطابٌ إلى المخلصين من هذه الأمةِ سواءً كانوا علماءَ أو طلبةَ علمٍ، دعاةً أو محاضرين، تجارًا أو مسئولين، مثقفين أو عامةً؛ للقيامِ بأداءِ هذا الواجبِ العظيمِ، والقيامِ بالتصدي لهذه البدعةِ الشنيعةِ والمنكرِ الجللِ كُلٌّ حسبَ وسعِه وطاقتِه.

ورحمَ اللهُ الإمامَ الشوكاني إذ يقول: (وكم سرى عن تشييدِ أبنيةِ القبورِ وتحسينِها من مفاسدَ يبكي لها الإسلامُ، منها اعتقادُ الجهلةِ بها كاعتقادِ الكفارِ للأصنام، وعَظُمَ ذلك فظنوا أنها قادرةٌ على جلبِ النفعِ ودفعِ الضرّ، فجعلوها مقصدًا لطلبِ قضاءِ الحوائج وملجأً لنجاحِ المطالب، وسألوا منها ما يسألُه العبادُ من ربهم، وشدُّوا إليها الرحالَ، وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملةِ إنهم لم يَدَعُوا شيئًا مما كانت الجاهليةُ تفعلُه بالأصنامِ إلا فعلوه، فإنَّا للهِ وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكرِ الشنيعِ والكفرِ الفظيعِ لا نجدُ مَنْ يغضَبُ للهِ ويَغارُ حميةً للدينِ الحنيفِ؛ لا عالمًا ولا متعلمًا ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملِكًا.

فيا علماءَ الدين! ويا ملوكَ المسلمين! أي رزءٍ للإسلامِ أشدُّ من الكفرِ؟! وأي بلاءٍ لهذا الدينِ أضرُّ عليه من عبادةِ غيرِ اللهِ؟ وأي منكرٍ يجبُ إنكارُه إن لم يكنْ هذا الشركُ البينُ واجبًا؟!

لقدْ أَسْمَعْتَ لو ناديتَ حيًّا ولكنْ لا حياةَ لمن تنادي

ولو نارًا نفخْتَ بها أضاءَتْ ولكن أنتَ تنفخُ في رماد)

انتهى كلامُ الإمام الشوكاني، وبه انتهت دراستُنا هذه التي ما هي إلا أداءٌ لأمانةِ البلاغِ، وإعذارٌ إلى ربِّ العبادِ، ونصحًا للأمة، ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم (٥٢)].

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسلين، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.





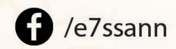
التصوف
في تهامة اليمن
دراسة ميدانية

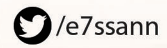


إعداد

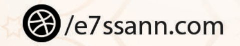
عبد الله المصلح

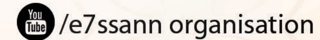














التصوف في تهامة اليمن

دراسة ميدانية

إعداد

عبد الله المصلح